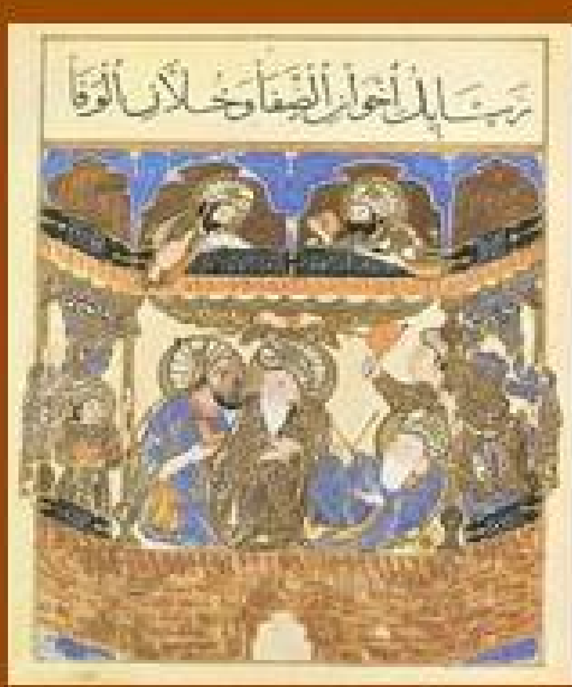
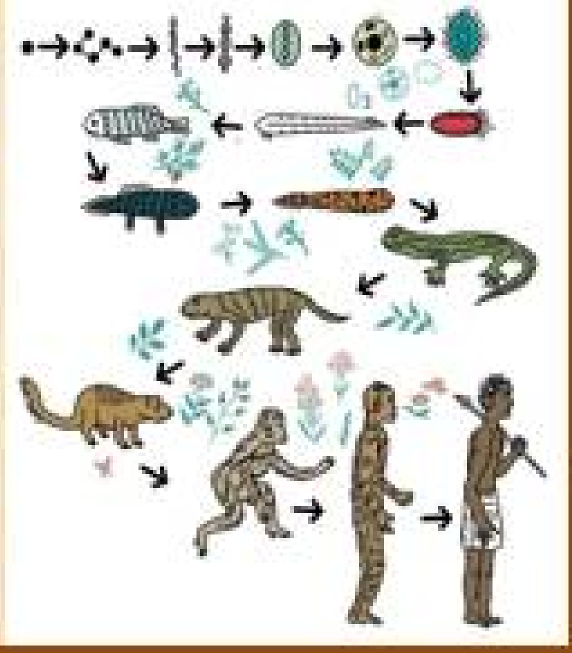
دكتور بهاء الأمير

التطور البيولوجي والحركات السرية في الشرق







٢٠٢٣م

دكتور بهاء الأمير

التطور البيولوجي والحركات السرية في الشرق



٢٠٢٣م



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر، إعداد إدارة الشؤون الفنية

الأمير، بهاء

عنوان الكتاب: التطور البيولوجي والحركات السرية في الشرق

المؤلف: دكتور بهاء الأمير

القاهرة، بهاء الأمير، ٢٠٢٣م

١٥٥ ص، ١٧ × ٢٤ سم

١- الحركات الفكرية
٢- إخوان الصفا
٣- النشوء والارتقاء

أ – العنوان ٣٠١،٢٤٢

تدمك: 978.977.94.7365.9

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٩٦٧/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي آتانا من لدنه علماً، وهدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على نبيه ومصفاه، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد،

وصلتني رسالة يقول صاحبها، واسمه أحمد راتب:

"أرجو من الدكتور بهاء بارك الله فيه لو تكرم أن يجيب على سؤالي، بعض التطوريين العرب المنبطحين يقولون إن ابن خلدون أول من تكلم عن التطور، وساقوا بعض الكلام المنسوب له، فهل هذا الأمر صحيح؟

أمر آخر، أرجوه من الدكتور بهاء لو تفضل علينا أنار الله بصيرته، أن يولي اهتماماً لمسألة الحركات السرية في الشرق".

وقد قلت في مقدمة كتاب: اليهود والحركات السرية في عصر النهضة، وفي مواضع أخرى عديدة، إن آثار اليهود، أو الطائفةِ من اليهود التي نتعقبها، وهي الطائفة من بني إسرائيل التي تحوز وحي الإله الأصيل وتحرفه وتبث في البشر نقيضه، وتتوارث هذا التحريف والبث عبر التاريخ،

آثار اليهود والحركات السرية التي تدور حولهم في الشرق وبلاد الإسلام هائلة، وتشمل العقائد والأفكار والأخلاق والسياسة والحركات والدول، ومن هذه الآثار الفتنة الكبرى، والإسماعيلية والقرامطة والنصيرية وحركة الحشاشين، والدولة العبيدية الفاطمية، وألف ليلة وليلة، وإخوان الصفا، والفِرق الباطنية، وترجمة الفلسفة الإغريقية.

ورغم هذه الآثار الهائلة، فقد قدَّمنا عليها تتبعَ مسار اليهود والحركات السرية، منذ الحروب الصليبية وانتقالِ تمركزهم ونشاطهم إلى الغرب، لأن إسقاطَ دولة الإسلام التي بدأت بالدولة النبوية، وتكوينَ بلاليص ستان وجميعَ ما شهدته وتشهده في تاريخها، منذ الحملة الفرنسية، وحتى هذه اللحظة التي تقرأ فيها هذا الكلام، وكذلك إنشاء الدولة البني إسرائيلية وتمددها، هو من آثار مسار اليهود والحركات السرية في الغرب، وتحويلِه بالبنوك وهذه الحركات إلى مطية، امتلكوا مقاليدها، ثم قفزوا به على الشرق، وبدأوا في غلافه الجزء المرئي والظاهر على سطح الأرض من مشروعهم الساري عبر التاريخ، ويتوارثونه ويتوارثون تطويره خطوة خطوة، وهم ينتقلون من أمة إلى أمة، ومن زمن لآخر.

وليست المسألة أني أسعى إلى مجرد البحث في التاريخ والسياسة والعقائد أو في العلوم والمناهج، وتأليف الكتب والمصنفات فيها، بل التفسير العميق وكشف الأسباب الغائرة لأوضاع بلاد العرب والإسلام وكيف تكونت بلاليص ستان وصارت على الصورة التي تراها، وكذلك كيف سار المشروع اليهودي عبر التاريخ إلى أن اكتمل وتكونت الدولة البني إسرائيلية، وسر

العلاقة العميقة الراسخة والمتعددة الأبعاد بين الغرب واليهود، والتي تجعله ظهيراً تلقائياً للمشروع اليهودي والدولة البني إسرائيلية.

وقبل ذلك وبعده البرهان على أن ما أخبرنا به الله عز وجل في بيانه إلى البشرية عن بني إسرائيل وغاياتهم وسماتهم وخصائص تدبيرهم وآثارهم في البشر، هي إخبارات مطلقة تقع عليهم في كل زمان وكل مكان، وليست مقيدة باليهود في زمن نزول القرآن ومكان نزوله، وأن موقعهم من التاريخ وآثارهم في البشرية بقدر ما أفرد الله لهم في هذا البيان، ولا يضارعها آثار أي أمة أخرى، وأن بلاليص ستان وما شهده تاريخها من أحداث، وما يملأ العالم في زمانك من ضلالات وأباطيل، هي كلها من نواتج دورة الإفساد الثاني لبني إسرائيل وشمولها للأرض كلها.

وهنا نعيد عليك ما نبهناك إليه في كل ما نكتبه ونقدمه، وهو أن الجبهة الرئيسية لليهود والحركات السرية، في الشرق والغرب، وفي كل العصور، هي أذهان البشر ونفوسهم، وهدفهم الحقيقي إخلاؤها من مسألة الألوهية وعقيدة الخلق التي ترتبط بها، وأن يملأوها هم، ويعيدوا بناءها وتكوينها، ويسيطروا على وعيهم، لكي يفهم عموم البشر الوجود والحياة من خلالهم، ويتوافقَ جميع ما ينتجه هذا البناء وهذا الوعي مع غاياتهم وأهدافهم، فيسيرَ عموم البشر في الاتجاه الذي رسموه ويفعلون ما يريدونه، وهم يتوهمون أنهم هم الذين أرادوه وبإرادتهم الحرة اختاروه.

وهو ما يخبرك به صريحاً اليهودي القبالي وحبر الماسونية الأعظم ألبرت بايك Albert Pike، ضمن بيانه للأخطاء التي وقعت فيها منظمة فرسان الهيكل، وتدارك الماسونية لها.

يقول بايك في كتابه: عقيدة الطقس الاسكتلندي القديم وآدابه Morals And Dogma of The Ancient And Accepted Scottish Rite of Freemasonry:

"تنظيم فرسان الهيكل كان يسعى إلى عمل عظيم، ولكنه لم يتمكن من تنفيذه، لأن روما إذ ذاك لم تكن تقهر، وفرسان الهيكل كانوا مقاتلين قادرين على حمل السلاح وخوض المعارك، ووجهوا عنايتهم لحيازة الثروة من أجل امتلاك العالم، وقد فعلوا ذلك، وامتلكوا في أوروبا وحدها أكثر من تسعين ألف ضيعة وإقطاعية، وكان طموحهم قاتلاً لهم Their Ambition Was Fatal، لأنهم أهملوا المؤسسات الاجتماعية والدينية التي كان هدفهم الإطاحةَ بها، وتغييرُ الأفكار هو التغيير الدائم، وتأسيس عقيدة جديدة هو النصر المبين ... وقد فطنت الماسونية إلى خطأ فرسان الهيكل، ومن ثَم تركت السلطة الفعلية والحكم الظاهر وما يجلبه على من فيه من أعداء ومخاطر، ووجهت عنايتها إلى صناعة عقول من يصلون إلى السلطة وتكوين نفوسهم، فتكون أفكارها بذلك هي التي في السلطة

وهـي التـي تحكـم دون أن يراهـا أحـد فـي العـروش، لأنهـا هـي عقـل مـن يصلون إلى السلطة ومن يعتلون العروش"![1].

وعقيـدة التطـور البيولـوجي، وخـروج المخلوقـات مـن بعضـها، وخروجهـا جميعاً من أصل واحد، هي إحدى وسائل اليهود والحركات السرية في إخلاء أذّهان البشر ونفوسهم ومجتمعاتهم من مسألة الألوهية وعقيدة الخلق الإلهـي، ومـن ميزانهـا ومنظومـة القـيم والأخـلاق التـي تـرتبط بهـا، وإعـادة صـناعتها وتكوينهـا لتـرى الوجـود ومكوناتـه والحيـاة وكـل شـئ فيهـا مـن خـلال منظـار اليهود والحركات السرية، لكـي يتوافقوا تلقائياً مـع غاياتهم، ويسيروا طواعيـة فـي المسـار الـذي رسـموه، ويفعلـوا مـا يريدونـه وهـم يتوهمـون أنهـم هـم الـذين أرادوه.

واليهـود والحركـات السـرية نبتـت ونمـت فـي الشـرق وجـذورها فيـه، ومنـه انتقلــت إلــى الغــرب، ولــذا فجميــع أســاليب القبــاليين والحركــات الســرية ومعتقداتهم التي تمهد للإلحاد والعلمنة والإباحية، التي طوروها وازدهرت في الغرب بعد هذه النقلة، ستجد أصولها في الشرق.

وعقيـدة التطـور البيولـوجي مثـل بقيـة المعتقـدات القباليـة وأفكـار الإلحـاد والعلمنـة والإباحية نبتت بين أحضـان الحركات السرية في الشرق، ثم سرت من الشرق إلى الغرب، وازدهرت في محافل الماسونية والروزيكروشيان، إلـى

1) Albert Pike: Morals And Dogma of The Ancient And Accepted Scottish Rite of Freemasonry، P819-820، Prepared For The Supreme Council Of The Thirty Three Degree For The Southern Jurisdiction Of The United States And Published By Its Authority، Charleston، 1871 .

أن اكتملت مع تشارلز دارون، وتم لبسها بالأدلة والشواهد العلمية، وتقديمها على أنها نظرية علمية، وحلت في المدارس والجامعات والإعلام محل عقيدة الخلق الإلهي، وصارت العقيدة الرسمية لدول الغرب ولعموم البشر فيه، ثم عادت هي واليهود والحركات السرية إلى الشرق مرة أخرى، غازية مع جيوش الإمبراطوريات الماسونية، وبثتها في مناهج التعليم والإعلام، ومسخت بها أدمغة صنائعها من الأميين في ما أقامته من مدارس وجامعات، لتكون من وسائلها في إزاحة مسألة الألوهية ورابطة الإسلام من الشرق، من أجل تفكيكه وصناعة بلاليص ستان، محضن المشروع اليهودي والدولة البني إسرائيلية.

وهو ما جعلنا نهتم بالرسالة التي جاءتنا، ونتفرغ للرد على المسألة التي فيها.

والكتاب الذي بين يديك، يبدأ ببيان العلاقة بين الحركات السرية في الشرق والغرب، وأن هذه هي أصل تلك، ثم بيان أن التطور البيولوجي نظرية عقائدية وليس نظرية علمية، والتفرقة بين مسألة ترتيب المخلوقات وتصنيف الأنواع حسب درجة رقي تركيبها وخصائصها ووظائف أعضائها، وبين مسألة أصل الأنواع وخروجها من بعضها، وهما المسألتان التي كان اللبس بينهما من وسائل الحركات السرية في بث عقيدة التطور البيولوجي في أذهان البشر.

يتلو ذلك الكلام عن عقيدة التطور البيولوجي في الشرق ونماذجُ منها في مؤلفات المتصوفة والمؤرخين والفلاسفة.

ثم أفردنا مساحة واسعة لجماعة إخوان الصفا ورسائلهم، وهي أحد فروع مذهب الشيعة الإسماعيلية، والمصدر الأول لعقيدة التطور البيولوجي في الشرق، وجميع من قالوا بها في الشرق أخذوها من رسائلهم.

ولأن عقيدة التطور البيولوجي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمسألة الألوهية، وكيف كان الخلق وظهور المخلوقات، فقد بدأنا ما أفردناه لإخوان الصفا بعقيدتهم في الخلق بالفيض والصدور، وكشف أنها هي نفسها قصة الخلق القبالية، ثم بيان عقيدتهم في اشتراك جميع الموجودات من أول الجمادات إلى الإنسان في أصل واحد، وخروج كل مرتبة من المخلوقات من الأدنى منها، وهي نفسها عقيدة التطور البيولوجي.

وبعد ذلك انتقلنا إلى ابن خلدون، وبيان آثار رسائل إخوان الصفا في مقدمته، وما أورده من فقرات فيها عن ترتيب المخلوقات والعلاقة بين مراتبها، وبيان أنه غرفها مثل غيره من رسائل إخوان الصفا، ولكن ما باعد بينه وبينهم وأخرجه من نظرية التطور البيولوجي الصريحة إطاحته بعقيدة الإله الذي يحوي الوجود في ذاته وظهور المخلوقات بالفيض والصدور منه، وإيمانه بعقيدة واجب الوجود والخلق بالأمر والإرادة الإلهية.

ونهاية الكتاب هي عصارته وفحواه الحقيقية، وهي أن كشف أصول عقيدة التطور البيولوجي في الشرق، وسريانها مع نقلة اليهود والحركات

السرية من الشرق إلى الغرب، نموذج مثالي على على كيف تتدفق الضلالات وتشيع عبر الأزمان وتسير شرقاً وغرباً وتسري في أدمغة الأميين في مختلف الأمم، ثم ينسبها بعضهم لأفكاره وعبقريته، ومنهم من يطورها، أو يفلسفها، أو يلفق لها الشواهد ويزخرفها بالمصطلحات العلمية، والمؤرخون الأميون من أمثالهم يسيرون خلفهم في كل اتجاه، ويصنفون المصنفات في نظرياتهم وأفكارهم، بينما مصدر هذه الضلالات كلها والنبع الذي نهلوا جميعاً منه واحد، وهو الطرف الوحيد الذي يحرص على إخفاء نفسه وحجب اسمه وهويته، فيظل مجهولاً ولا تجد له ذكراً في تواريخ الأميين.

دكتور بهاء الأمير

٢٥ صفر ١٤٤٥هـ/١٠ سبتمبر ٢٠٢٣م

القبالاه والحركات السرية بين الشرق والغرب

الماسونية وجميع الحركات السرية التي تكونت في الغرب منذ الحروب الصليبية ثم ازدهرت فيه وأشعلت ثوراته وسيطرت على وعيه ومقاليده ومنحته سماته وصنعت عصره الحديث، ثم قفزت به على بلاد الإسلام وصنعت من خلاله بلاليص ستان، جميع الحركات السرية أصولها في الشرق، ثم انتقل تمركزها ونشاطها الرئيسي إلى الغرب عبر ثلاث بوابات رئيسية، هي الحروب الصليبية، ويهود القبالاه في الأندلس، وأسرة دي مديتشي في إيطاليا.

ووثائق الحركات السرية المختلفة وما كتبه المؤرخون من أعضائها، عن أصولها ونشأتها ومؤسسيها، تتفق جميعها على أنها جاءت إلى الغرب من الشرق، وعلى أن يهود القبالاه هم أصلها في الشرق، وإن اختلفت هذه الروايات بعد ذلك في بعض التفاصيل، أو وضعتها في صورة حكاية رمزية.

فهاك ثلاثة نماذج تتيقن منها أن الحركات السرية في الغرب، تقع أَصولها في الشرق، وأن القبالاه ويهودها هم هذا الأصل، وهم الذين نقلوها مع حركتهم وانتقال تمركزهم ومجال نشاطهم الرئيسي من الشرق إلى الغرب.

فأما النموذج الأول، فهو منظمة فرسان الهيكل وامتدادها في الماسونية.

في كتابه: عقيدة الطقس الاسكتلندي القديم وآدابه، يقول ألبرت بايك، عن نشأة منظمة فرسان الهيكل، وهي أم الماسونية وجميع الحركات السرية في

الغرب، إنه كانت توجد في الشرق منذ ظهور المسيحية، كنيسة أو طائفة سرية، اسمها كنيسة يوحنا المعمدان، وتقوم عقيدتها على القبالاه، ويحمل الحبر الأعظم لهذه الكنيسة السرية لقب: المسيح Christos، وعند اندلاع الحروب الصليبية وتأسيس منظمة فرسان الهيكل، يقول بايك:

"كان الحبر الأعظم لطائفة يوحنا المعمدان ورئيس كنيستها اسمه ثيوكليتس Theoclets، وقد تعرف ثيوكليتس على هوج دي بايون Hugues de Payens، ونشأت بينهما صداقة عميقة، وأطلع ثيوكليتس دي بايون على أسرار كنيسته وتعاليمها وطقوسها وغاياتها، ثم نصَّبه خلفاً له على رئاسة الطائفة وحبراً أعظم لكنيستها، وهكذا كانت نشاة تنظيم فرسان الهيكل من أجل معارضة كنيسة روما، وعلى أن القبالاه عقيدة قادته"[١].

والحركة السرية التي في الشرق وسلمت راية النشاط السري والقبالاه لمنظمة فرسان الهيكل في الغرب، إبان التقائهما في الحروب الصليبية، والتي يسميها بايك كنيسة يوحنا المعمدان، هي في الحقيقة حركة الحشاشين الإسماعيلية، وهي أحد فروع التنظيم السري الذي أنشأه اليهودي عبد الله بن ميمون بن دَيْصان القداح في أصفهان وما حولها من مدن جنوب غرب

---

1) Albert Pike: Morals And Dogma of The Ancient And Accepted Scottish Rite of Freemasonry, P817, Prepared For The Supreme Council of The Thirty Three Degree For The Southern Jurisdiction of The United States And Published By Its Authority, Charleston، 1871.

فارس، في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وكان يتكون من سبع درجات.

فأما أن عبد الله بن ميمون القداح يهودي، فيقول الفقيه والمؤرخ محمد بن مالك بن أبي القضائل الحمَّادي اليماني، المتوفى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، في كتابه: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة:

"عبد الله بن ميمون القداح: كان ظهوره في سنة ست وسبعين ومائتين من التاريخ للهجرة النبوية، وكان يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام، وهو من اليهود من ولد الشلعلع، من مدينة بالشام يقال لها سَلَمية، وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب، وكان صائغاً يخدم شيعة إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان حريصاً على هدم الشريعة المحمدية، فلم ير وجهاً يدخل به على الناس حتى يردهم عن الإسلام ألطف من دعوته إلى أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم"[١].

وأما عن الحركة السرية التي أنشأها عبد الله بن ميمون القداح في مدن جنوب غرب فارس ودرجاتها، فيقول المؤرخ تقي الدين المقريزي في كتابه: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا:

---

١) الفقيه والمؤرخ محمد بن مالك بن أبي القضائل الحمَّادي اليماني: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، ص١٧-١٨، نشره وصححه وراجع أصله: عزت العطار، تقديم: الشيخ محمد بن زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة، ١٩٣٩م.

"وإلى ميمون القداح تنسب الميمونية، وكان له مذهب في الغلو، فولد لميمون هذا ابن يقال له عبد الله، كان أخبث من أبيه، وأعلم بالحيل، فعمل أبواباً عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام، وكان عارفاً عالماً بجميع الشرائع والسنن وجميع علوم المذاهب كلها، فرتب من المكر ما جعله في سبع دعوات، يتدرج الإنسان من واحدة إلى أخرى، حتى ينتهي إلى الأخيرة، فيبقى مُعَرَّاً من جميع الأديان، لا يعتقد إلا التعطيل والإباحة، ولا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً، ويقول إنه على هدى هو وأهل مذهبه، وغيرهم ضال مغفل"[1].

ودرجات تنظيم عبد الله بن ميمون السبعة، أوردها المؤرخ محمد بن إسحق بن النديم، في كتابه: الفهرست، فهاك هي:

"ولهم البلاغات السبعة، وهي كتاب البلاغ الأول، للعامة، كتاب البلاغ الثاني، لفوق هؤلاء قليلاً، كتاب البلاغ الثالث، لمن دخل في المذهب سنة، كتاب البلاغ الرابع، لمن دخل في المذهب سنتين، كتاب البلاغ الخامس، لمن دخل في المذهب ثلاث سنين، كتاب البلاغ السادس، لمن دخل في المذهب أربع سنين، كتاب البلاغ السابع، وفيه نتيجة المذهب

---

١) المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج١، ص٢٣-٢٤، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

والكشف الأكبر، قد قرأته فرأيت فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها"[١].

وقد فطن بعض مؤرخي التاريخ العام ومؤرخي الحركات السرية من المؤرخين التقليديين، إلى أن حركة القداح السرية في فارس، هي أم منظمة فرسان الهيكل، والجذر العميق للماسونية وأخواتها من الحركات السرية التي ظهرت في الغرب بعد الحروب الصليبية، وأن مراتب الماسونية ودرجاتها ليست سوى اقتباس من مراتب تنظيم القداح ودرجاته.

ومن أمثلة هؤلاء المؤرخين، المؤرخ والمستشرق الهولندي رينهارت دوزي Reinhart Dozy في كتابه: تاريخ مسلمي إسبانيا Histoire des Musulmans d'Espagne، والمؤرخ النمساوي جوزيف فون هامر برجشتال Joseph von Hammer Purgstall في كتابه: تاريخ الحشاشين من المصادر الشرقية Die Geschichte Der Assassinen Aus Morgenländischen Quellen، ومؤرخة الحركات السرية، الإنجليزية نستا وبستر Nesta Webster في كتابها: الجمعيات السرية والحركات الخفية Secret Societies And Subversive Movements.

وفي كتابه: تاريخ الحشاشين من المصادر الشرقية، وبعد أن وصف تنظيم القداح ودرجاته السبع، وعلاقته بحركة الحشاشين، يقول المؤرخ

---

١) المؤرخ أبو الفرج محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، ص٢٦٨، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى، أول شارع محمد علي بمصر، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

والمستشرق النمساوي جوزيف فون هامر برجشتال عن وجوه الشبه بين تنظيمات الإسماعيلية وحركة الحشاشين وبين منظمة فرسان الهيكل:

"منظمة فرسان الهيكل كانت على صلة وثيقة بالإسماعيلية، وبينهما وجوه شبه عديدة، فالهيكل التنظيمي لكل منهما واحد، ودرجات فرسان الهيكل: الفارس والموقر والأخ المبتدئ Esquires Knights And Lay Brothers، هي نفسها درجات: الرفيق والفداوي واللحيق أو المبتدئ في الإسماعيلية، كما أن مراتب: المقدَم والمقدم الأعظم والأستاذ الأعظم Priors, Grand Priors And Grand Master، في فرسان الهيكل، تقابل مراتب: الدعاة والدعاة الكبار وشيخ الجبل، في الإسماعيلية، وكما كان الرفيق في الإسماعيلية يرتدي ملابس بيضاء عليها شارة حمراء Red Insignia، كان فرسان الهيكل يرتدون زياً أبيض عليه صليب أحمر، والقلاع التي شيدها فرسان الهيكل في أوروبا، كانوا يحاكون بها قلاع الحشاشين في آسيا"[١].

وبعد أن نقلت مؤرخة الحركات السرية نستا وبستر عن كتاب: تاريخ مسلمي إسبانيا، للمستشرق الهولندي دوزي، فقرات طويلة في وصف التنظيم السري الذي أنشأه عبد الله بن ميمون القداح، تقول في كتابها: الجمعيات السرية والحركات الخفية:

---

1) Joseph Von Hammer Purgstall: The History Of The Assassins, Derived From Oriental Sources, P80, Translated From The German By Oswald Charles Wood, Smith And Elder, Cornhill, London, 1835.

"وقد اقتبست هذه العبارات الطويلة من دوزي، لأنها ذات أهمية بالغة، وتلقي الضوء على تنظيم الجمعيات السرية الحديثة، فجميعها، وسواءًا كانت سياسية أو اجتماعية أو دينية، تنظيمها واحد، وهو حشد أعداد غفيرة من الناس، وجعلهم يعملون من أجل غاية لا يعلمها أحد منهم Making Them Work In A Cause Unknown To Them، وهي نفسها الطريقة التي كون بها فيسهاوبت تنظيم الإليوميناتي، وقد أخذها من الشرق، كما سنرى لاحقاً"(١).

والحركات السرية جميعها، شرقاً وغرباً، تنظيمها وأسلوبها واحد، وتتفق في أفكارها وغاياتها، لأن نبعها الذي تتدفق منه واحد، ولأن البناء الذهني والنفسي الذي ينتجها هو هو، وإن اختلفت الأسماء والأشكال والأردية التي يتغلف بها.

وأما النموذج الثاني، فهو حركة الروزيكروشيان Rusicrucian، أو الصليب الوردي.

في وثيقة إشهار أخوية الروزيكروشيان Fama Fraternitatis، والتي ظهرت مطبوعة لأول مرة في ألمانيا سنة ١٦١٤م، أن مؤسس الأخوية الذي ترمز له الوثيقة بحرفي RC، وهما اختصار اسمه الرمزي الصليب الوردي المسيحي Christian Rusen Cruetz دخل الدير وهو في الخامسة من عمره،

---

1) Nesta Webster: Secret Societies And Subversive Movements, P38, Second Edition, Boswell Printing & Publishing Co., Ltd, Whitefriars Street, London, 1924.

لوفاة والديه، ثم لازم في سنوات صباه وبواكير شبابه الأخ PAL، وتعلم الإغريقية واللاتينية وما هو متوارث في الأديرة من فنون التداوي والممارسات العلاجية.

وعزم الأب الروحي للصليب الوردي المسيحي في الدير على الرحلة إلى أورشليم للحج، فاصطحبه معه، وفي قبرص مات الأب الروحي، فقرر الصليب الوردي المسيحي أن يلتحق بسفينة متجهة إلى دمشق، ليتم رحلة الحج إلى أورشليم، وفي دمشق، تقول الوثيقة:

"ساقته المصادفات إلى الالتقاء بحكماء دمشق، فأطلعوه على ما يفعلونه من أعاجيب عظيمة، وما كُشف لهم من أسرار الطبيعة، فاهتدى الصليب الوردي بروحه النبيلة إلى أن مكانه في دمشق وليس في أورشليم، فتلقفه حكماء العرب، وكان إذ ذاك في السادسة عشرة من عمره، وجعلوه واحداً منهم، فعلموه العربية وكشفوا له أسرارهم وعلموه فنون الطب وخوافي الرياضيات، وبعد ثلاث سنوات بينهم أجازوه بما علموه من علوم، وأرسلوه إلى إخوة لهم في مصر فأخذ منهم أسرار علوم الفلك المصرية القديمة وتلقى عنهم تعاليم هرمس وأسرار ديانته، ومن مصر أرسلوه إلى إخوانهم في المغرب، فعبر البحر المتوسط كله في اتجاه الغرب إلى فاس، واستكمل حكماء العرب تعليمه وإرشاده، فعلموه السحر والفلسفة والقبالاه المشحونة بديانتهم Defiled With Their Religion، وبعد عامين عبر الصليب الوردي المسيحي المضيق من المغرب إلى إسبانيا، وفيها التقى بالألومبرادوس/منظمة النور الإسبانية Alumbrados، فأطلع الأخوية على

ضلال الكنيسة وخطأ كل ما تعتقده وتتبناه من فلسفات وعلوم وفنون، وبعد أسفاره الشاقة المليئة بالمصاعب والآلام، عاد الصليب الوردي إلى ديره الذي خرج منه في ألمانيا، وقد عزم على تكوين جمعية كالتي عاش وتعلم فيها بين العرب، ينتظم أعضاؤها حوله في دائرة هو مركزها، ويحكمها نظام صارم، فتقوم على نشر الحكمة والعلوم في أوروبا، وتعمل ما وسعها الجهد على أن تحوز كميات وفيرة من الذهب والفضة والمعادن النفيسة، تهبها للملوك والأمراء من أجل تسيير شؤون بلادهم، وأيضاً لأغراضهم الشخصية، لكي يكون هؤلاء الملوك والأمراء عوناً للجمعية ويصدرون ما تحتاجه ويوافق غاياتها من تشريعات"(١).

فأصول حركة الروزيكروشيان أو الصليب الوردي ومعتقداتها ونظامها ومزجها بين القبالاه والطب والعلوم، كما تخبرك وثيقة إشهارها، جاءت من الشرق، ومصدرها يهود القبالاه الذين يتمركزون في بلاد الإسلام، في الشام ومصر والمغرب.

وأما النموذج الثالث، فهو منظمة الإليوميناتي، أو منظمة النور البافارية، ومؤسسها اليهودي الماسوني آدم فيسهاوبت Adam Weishaupt، وهي المدبر والفاعل الحقيقي خلف الثورة الفرنسية.

---

1) Fama Fraternitatis Or A Discovery of The Fraternity of The Most Laudable Order of The Rosy Cross، P2-6, Translated And Prefaced By: Eugenius Philalethes Printed by F. M. For Giles Calvert، London, 1653.

بعد نجاح الثورة الفرنسية التي دبرت لها وأشعلتها منظمة الإليوميناتي الألمانية ومحافل الماسون في فرنسا، وبعد ما فعلته في فرنسا، قام الأب أوجستين باروبل Augustine Barruel، وهو معاصر لنشأة الإليوميناتي والثورة، بفحص وثائق منظمة الإليوميناتي الأصلية التي عثرت عليها حكومة بافاريا بعد اكتشافها للمنظمة ومداهمتها لمقرها، وهذه الوثائق محفوظة الآن في المتحف البريطاني.

وفي الجزء الثالث من كتابه: مذكرات عن تاريخ اليعاقبة Memoirs Illustrating The History Of Jacobinism، كشف الأب باروبل علاقة منظمة الإليوميناتي بالثورة، وتعقب أصولها ومؤسسيها، يقول الأب باروبل:

"المؤسس الحقيقي لتنظيم الإليوميناتي ليس آدم فيسهاوبت، بل رجل آخر تلقى فيسهاوبت أفكاره وتعاليمه منه، وهو الذي دربه ونقل إليه خبراته في تنظيم الحركات السرية، وهذا الرجل اسمه كولمر Kölmer، وهو من أرمينيا، وكان عضواً في إحدى الحركات السرية في الشرق، وتلقى جزءًا من تعاليمه السرية في مصر، ثم رحل إلى مالطا وانضم فيها إلى منظمة الفرسان، وظهر في أوروبا سنة ١٧٧١م، وكان كاجليو سترو Cagliostro من تلاميذه، وهو الذي أطلعه على أسرار طقس ممفيس"[١].

---

1) Abbe Augastine Barruel: Memoirs Illustrating The History Of Jacobinism، Part III, P8, Translated Into English By The Hon. Robert Clifford, Printed For The Translator By T. Burton No. 11 Gate Street, Lincolin's Inn Fields, London، 1798.

وتقول مؤرخة الحركات السرية نستا وبستر، في كتابها: الجمعيات السرية والحركات الخفية، إن من يتصدرون واجهة أغلب الجمعيات السرية على أنهم رؤساؤها ومن أنشأوها ليسوا كذلك في الحقيقة، فالمؤسسون الحقيقيون لأي جمعية سرية يظلون في الخفاء ولا يعلنون أنفسهم أبداً، لا لأعضائها ولا لأحد سواهم، ولا يصل إليهم أحد إلا بعد بحث شاق وكفاح مضن.

وتنقل نستا وبستر عن كوتو دي كونتيلو Couteulx de Canteleu، وهو سياسي فرنسي معاصر للثورة وأحد مؤسسي بنك فرنسا ومن الماسون، أن كولمر، أستاذ فيسهاوبت والمؤسس الحقيقي للإليوميناتي، اسم حركي، وترجح نستا وبستر مع دي كونتيلو أنه ألتولاس Altolas، الذي سجل اليهودي كاجليو سترو سيرته بإعجاب وتقدير في مذكراته، وكاجليو سترو هو المؤسس الرسمي لمذهب ممفيس المصري في الماسونية.

وألتولاس، كما يقول دي كونتيلو ونستا وبستر:

"كان عضواً في تنظيم سري في فارس، وهي غالباً حركة إسماعيلية Possibly An Ismaili، وقد بنى تنظيم الإليوميناتي على غرار التنظيمات السرية والباطنية في مصر وفارس"[١].

وتقول نستا وبستر نقلاً عن إحدى رسائل سبارتاكوس، وهو الاسم الحركي لفيسهاوبت، إلى كاتو Cato، أو لورنزو سواك، أحد قادة المنظمة والأمين على وثائقها، أنه:

---

1) Secret Societies And Subversive Movements, P106.

"تنظيم الإليوميناتي كان له في الدرجات العليا أسماءٌ أخرى، ومنها تنظيم النار Fire Order، والتنظيم الفارسي Persian Order ... وكان التنظيم يستخدم في وثائقه التقويم الفارسي مع التقويم اليهودي، وتوجد وجوه شبه هائلة بين تنظيم فيسهاوبت وأسلوبه وبين التنظيم الذي أنشأه عبد الله بن ميمون ... وفي رسالته لكاتو يقول فيسهاوبت إنه سيعمل من خلال منظمته على بعث التنظيمات الزرادشتية والفارسية القديمة"[١].

وما نريد أن نصل بك إليه، هو أن جميع المعتقدات القبالية والأفكار الباطنية والعلمانية التي مزجتها الماسونية والروزيكروشيان والإليوميناتي وغيرها من الحركات السرية في محافلها ومعاملها بالطب والعلوم الطبيعية، وكونت بها وعي نخب الغرب في مختلف المجالات، فازدهرت بهم وتحولت إلى نظريات ومناهج ومدارس وجامعات، وصنعت بها ثوراته وكونت دوله الحديثة ومجتمعاته، جميع هذه المعتقدات والأفكار تكونت في الشرق أولاً، وستجد فيه بذورها وأنويتها، ثم انتقلت إلى الغرب مع حركة اليهود والحركات السرية ونقل تمركزها ومجال نشاطها الرئيسي من الشرق إلى الغرب.

ثم بعد أن أزاحت هذه الحركات الكنيسة ومسألة الألوهية من الغرب واستكملت سيطرتها على وعيه، وصنعت إمبراطورياته الماسونية بثوراتها وصبغته بأفكارها وفهمهما للوجود والحياة، عادت هذه الحركات السرية إلى الشرق مرة أخرى محمولة على ظهر هذه الإمبراطوريات، وعادت إليه معها معتقداتها القبالية وأفكارها العلمانية، مغلفة في المدارس والجامعات وممتزجة

1 **) Secret Societies And Subversive Movements، P107.**

بالعلوم والمناهج والنظريات، وأزاحت بها الوحي وصنعت بلاليص ستان وكونت ساستها وطبقاتها الحاكمة والعليا ونخبها في مختلف المجالات، وهذه هي ذروة إفساد بني إسرائيل وعلوهم في الأرض الكبير.

والفرق بين الشرق المسلم وبين الغرب وبلاليص ستان، أن المعتقدات القبالية والباطنية والأفكار العلمانية واستراتيجيات إزاحة مسألة الألوهية من وعي البشر، في الشرق المسلم، كانت تبثها الحركات السرية والطوائف التي تكونت حولها، مثل الإسماعيلية والقرامطة والحشاشين، ضمن معتقداتها، في رؤوس أعضائها وأهالي المناطق التي يسيطرون عليها، ويتم تسريبها في الفلسفة والكلام عن العلوم الطبيعية، ويموهها الباطنيون في كتبهم، التي هي قبالاه معربة، في معتقدات الإسلام وآيات القرآن، وبعض هذه الأفكار والمعتقدات تسربت إلى مؤلفات الأدباء والمؤرخين، بل وتسربت في صورة مخففة وباهتة إلى بعض من ينسبون للعلوم الإسلامية المحض من أهل التفسير والفقه وعلوم اللغة، وتجدها مبثوثة في صورة عبارت مقتضبة بين صفحات كتبهم وسطورها، ولكن ظلت هذه المعتقدات القبالية والأفكار العلمانية بذوراً خافتة وخفية ومموهة وغير صريحة، ولم تنمو وتزدهر في الشرق، ولا تحولت إلى معتقدات عامة يعتنقها عموم المسلمين، ولا إلى مناهج ونظريات متكاملة وأنظمة تعليمية، ولم تسيطر على الوعي العام للمجتمعات، لأن أمامها حصن حصين وسد منيع يصدها ويعرقل حركتها ويوقف تمددها، هو الوحي ومركزية مسألة الألوهية والخلق فيه، وهو المكون الأساسي في وعي الشرق وبناء أذهان أهله ونفوسهم، والدول والحكام

يحكمون باسمه وشريعته، وشرعيتهم مستمدة من الحكم به، ومن خلافة النبي المرسل به، ومن القوامة على أمته والتاريخ الذي تكون به وبدأ منه.

وأما الغرب، فقد ازدهرت فيه الحركات السرية ونمت وترعرعت معتقداتها القبالية وأفكارها الباطنية والعلمانية، وتحولت الى مناهج ونظريات وفلسفات، وإلى مدارس وجامعات، وامتزجت بما أنتجه من علوم وآداب وفنون، بسبب خلاء الغرب من الوحي ومعياره وميزانه وبرهان مصدره الإلهي، وبسبب إطاحة الحركات السرية بالكنيسة والمسيحية من الغرب وحلولها محلها، مصدراً لوعي الغرب وموجهاً لمساره وحاكماً لمسيرته وصانعاً لمعتقداته وأفكاره الكبرى.

وأما بلاليص ستان، فقد ارتدت إليها الحركات السرية ومعتقداتها غازية مع جيوش الإمبراطوريات الماسونية، وانتعلت أدمغة ساستها ونخبها وأزاحت منها الوحي وأعادت صناعتها، بما أقامته هذه الإمبراطوريات تحت سطوة جيوشها وسلاحها من أنظمة إدارية وقانونية وإعلامية وتعليمية.

وبقي أن تعلم أن ثمة مسألة مشتركة بين الإسلام والديانات الكتابية، المسيحية واليهودية، وهو الإيمان بواجب الوجود المطلق القدرة الخالق لجميع الموجودات وذاته مفارقة لها، والاختلاف بين الإسلام والديانات الكتابية فيما تحت هذه المسألة الأم.

وهذه المسألة الأم المشتركة بين الديانات الكتابية هي نفسها التي يسعى القباليون والحركات السرية عبر التاريخ لإزالتها من وعي البشر وتكوين

مجتمعاتهم، وابتكار بدائل لها وإحلالها محلها، من أجل الإطاحة بمنظومة القيم والأخلاق والعلاقات التي ترتبط بعقيدة واجب الوجود، ولكي يحلوا محلها منظومة القيم والأخلاق والعلاقات التي يريدون أن يكون البشر عليها، وتجعلهم طائعين لهم عبر وسائل الإعلام والخطاب العام التي يسعون طوال التاريخ لتطويرها والسيطرة عليها.

في كتابه: السر المصون في شيعة الفراماسون، الذي جمع مادته من مضابط المحافل الماسونية الفرنسية ووثائقها، بمعاونة أًصدقاءَ له في باريس، يقول الأب لويس شيخو اليسوعي، في بداية الباب الذي خصصه لمعتقدات الماسون بخصوص مسألة الألوهية:

"إن رأس كل المعتقدات البشرية، وجود إله واحد واجب الوجود، أزلي، قادر على كل شئ، خالقِ كل شئ بمشيئته، يحتاج كل مخلوق إليه، ولا يحتاج هو إلى أحد ... والماسونية وفقاً لمبادئها تنكر حقيقة وجود الخالق، وإذا تلفظت باسمه أرادت ليس إلهاً قائماً بذاته، بل الطبيعة ومجموع الكائنات"[1].

---

١) الأب لويس شيخو اليسوعي: السر المصون في شيعة الفراماسون، الكراس الثالث، ص٤، طبع بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩١٠م.

التطور البيولوجي نظرية عقائدية وليس نظرية علمية

أخبرناك في باب: الداروينية والتطور، من كتابنا: التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، أن نظرية التطور البيولوجي وخروجَ المخلوقات من بعضـها، وخروجَها جميعاً من أصل واحد، نظرية عقائدية وليست نظرية علمية محض، وجميع من قالوا بها، بمن فيهم تشارلز دارون، كانوا يعتنقون عقيدة التطور أولاً ثم بحثوا لها بعد ذلك عن الشواهد والأدلة، وليس العكس، أي أنهم لم يجدوا الشواهد والأدلة أولاً ثم وُلدت النظرية في أذهانهم منها، وإذا لم يجدوا الشواهد والأدلة التي يبحثون عنها، سدوا فجوات النظرية وثغراتها بالفرضيات والتخمينات التي لا شواهد لها ولا دليل عليها.

وقد عرفناك تفصيلاً في كتاب: التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص بأصول نظرية التطور عند تشارلز دارون، ومن أين جاءته واعتنقها، والبيئة التي ولدت فيها، وألف كتابه: أصل الأنواع[١].

وما ينبغي أن تعلمه أن عقيدة التطور البيولوجي هي إحدى استراتيجيات إزاحة الوجود الإلهي من وعي البشر ومن بناء أذهانهم ونفوسهم وتكوين مجتمعاتهم، عبر تقديم تفسير لوجود المخلوقات والكون بديلاً لعقيدة الخلق الإلهي ولا موضع ولا حاجة فيه للإله، وجميع من اعتنقوا عقيدة التطور عبر

١) دكتور بهاء الأمير: التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، مطبوع على نفقة المؤلف، ٢٠١٨م.

التاريخ اعتنقوها لأنهم من الملاحدة، وإلحادهم هو الذي أنتج عقيدة التطور، أو عقيدة التطور كانت هي التي أنتجت إلحادهم.

وقبل أن نعرفك بأصول عقيدة التطور البيولوجي عند الحركات السرية في الشرق، ينبغي أن ننبهك إلى مسألتين أو فكرتين، تبدوان متشابهتين أو كأنهما مسألة واحدة، ولكن بينهما مع هذا التقارب فارق واختلاف، وعموم الأميين شرقاً وغرباً، حتى من العلماء، يخلطون بينهما، ومن يقبل مسألة منهما أو يرفضها يلحق بها تلقائياً الأخرى، فيقبلها أو يرفضها معها، بينما الصواب هو التمييز بين المسألتين والفصل بينهما، وأن يكون لكل واحدة منهما حكم غير الأخرى.

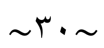
فالمسألة الأولى، هي ترتيب الكائنات أو المخلوقات في درجات، أو في سُلم، من الأدنى إلى الأعلى، حسب درجة البساطة والتركيب في تكوينها ووظائفها، وحسب وسائلها وقدرتها على الإدراك، وأن الموجودات جميعها في مراتب، وكل مخلوق يوجد مخلوق أدنى منه في التركيب والوظائف والخصائص، وآخر أرقى منه.

فهذه المسألة تدخل في العلم المجرد، ومن وسائل معرفة الوجود والمخلوقات وفهم خصائصها ووظائفها ومنافعها وتوظيفها أو تسخيرها، ولا تعارض بينها وبين مسألة الألوهية وعقيدة الخلق الإلهي.

وبتعديل مصطلحات دارون والدارونيين، يمكن تسمية هذه المسألة: تصنيف الأنواع أو المخلوقات.

والمسألة الأخرى التي تلتبس بمسألة ترتيب المخلوقات وتصنيف الأنواع، ويخلط الأميون بينهما، هي أصل الأنواع، وأن كل مخلوق في هذا الترتيب أو التصنيف خرج من الأدنى، وهو أصل للأرقى، وأنها جميعها خرجت من أدنى مخلوق في السلم تلقائياً، وبتراكم الصدف وبفعل الزمن، دون إرادة ولا خلق إلهي.

والقباليون والحركات السرية شرقاً وغرباً، وفي كل العصور، إحدى استراتيجياتهم الرئيسية لإضلال البشر، هي لبس الحق بالباطل في كل فرع من فروع المعرفة، ومن ذلك أنهم كانوا يتعمدون الخلط بين المسألتين ودمجهما معاً، من أجل تسريب عقيدة التطور ووحدة أصل الأنواع في بطن مسألة تصنيف الأنواع وترتيب المخلوقات، لكي تكون من أدواتهم في زعزعة مسألة الألوهية وعقيدة الخلق الإلهي، وتقديم تفسير للوجود يمكن الاستغناء فيه عن الإله والخلق.



عقيدة التطور البيولوجي في الشرق

وها هنا تكون قد وصلت إلى مسألة التطور البيولوجي في الشرق، أو في بلاد العرب والإسلام تحديداً.

ونعلم أنك قد صرت تدرك صلة عقيدة التطور البيولوجي بالحركات السرية في الشرق وتاريخ بلاد الإسلام، فعقيدة التطور البيولوجي وخروج المخلوقات من بعضها وخروجها جميعاً من أصل واحد، التي نمت وازدهرت في محافل الماسونية والروزيكروشيان في الغرب، ثم اكتملت مع تشارلز دارون، وتم لبسها بالشواهد والمصطلحات العلمية، وتقديمها على أنها نظرية علمية، وحلت في المدارس والجامعات والإعلام محل عقيدة الخلق الإلهي، وصارت العقيدة الرسمية للدول وعقيدة عموم البشر في الغرب، عقيدة التطور مثلها مثل بقية المعتقدات القبالية وأفكار الإلحاد والعلمنة والإباحية نبتت بين أحضان الحركات السرية في الشرق، ثم سرت من الشرق إلى الغرب ونمت وترعرعت فيه مع النقلة التاريخية ليهود القبالاه والحركات السرية وانتقال تمركزها ومجال نشاطها الرئيسي إلى الغرب.

ومثل غيرها من الأفكار التي تمهد للإلحاد والعلمنة والإباحية، سترى أصول نظرية التطور البيولوجي وبذورَها الأولى واضحة، والخلط بينها وبين مسألة تصنيف الأنواع وترتيب المخلوقات صريحاً، في معتقدات جميع الحركات السرية في الشرق والطوائف التي تكونت حولها، الإسماعيلية والقرامطة والحشاشين والدولة العبيدية، وستجدها مسربة عند الفلاسفة،

ومموهة في معتقدات الإسلام وآيات القرآن عند الباطنيين وفي كتب القبالاه المعربة، ومخففة في كتب التاريخ والأدب، ومنذ القرن الخامس الهجري ستقابلك لمحات وإشعاعات منها بين الصفحات والسطور في بعض ما صنفه من ينسبون للعلوم الإسلامية وعلوم اللغة، وقد تسربت إليهم من باب التصوف والمتصوفة.

وهنا ننبهك إلى أنه يجب أن تفرق بين من كانوا يعتنقون عقيدة التطور من الحركات والطوائف ومن يبثونها من الفلاسفة والباطنيين صريحة أو مموهة في ما ينتجونه وما يصنفونه من كتب ومؤلفات، وبين من تلوثت أفكارهم بآثارها أو تسربت لمحات منها إلى كتبهم، أو التبست عندهم مسألة ترتيب المخلوقات وتصنيف الأنواع بمسألة أصل الأنواع وخروج المخلوقات من بعضها.

وبعض المسائل، كما رأيت، تبدو متشابهة أو واحدة، ولكنها في حقيقتها مختلفة وبينها فروق دقيقة تدخل إحداها في غير الباب الذي تدخل فيه الأخرى، وتجعل حكم هذه غير حكم تلك، وكذلك الأشخاص.

والتفرقة بين الأشخاص تزيد على التفرقة بين المسائل أنها تقتضي قدرة رفيعة على التمييز والفهم، وقدراً عالياً من النزاهة والعدل والإنصاف، وترك الخصومات والعداوات والتعصب لهذه الفرقة أو ذاك المذهب، أو التعصب ضده، مما هو شائع في كل زمان ومكان.

وما ينبغي أن تدركه أنه ليس كل من تلوثت أفكاره أو تسربت إلى كتبه ضلالة ضالاً، كما أنه ليس كل من قال قولة حق وأخذنا بها هو على حق في كل ما يقوله ويفعله، والصواب أن الحق والضلال ميزان ومعيار، فمن وافق الحق فهو على الحق وإن أخطأ في مسألة أو بعض المسائل وفارقناه فيها، ومن وافق الباطل فهو على باطل وإن أصاب في مسألة أو بعض المسائل وتابعناه فيها.

وقبل أن ترى نموذجاً مفصلاً لعقيدة التطور وما يرتبط بها من معتقدات وغايات عند الحركات السرية في الشرق، إليك نماذج موجزة من عقيدة التطور عند المتصوفة والمؤرخين والفلاسفة، وهي نفسها من آثار الحركات السرية وتسربت إلى مؤلفاتهم منها.

والنموذج الأول من المتصوفة، وهو محي الدين ابن عربي، المتوفى سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م، يقول في باب: النكاح والتوالد، من كتابه: عقلة المستوفز:

"وما زال التكوين ينزل إلى أن وصل إلى الأرض، فأول تكوين في الأرض المعادن، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم الإنسان، وجعل آخر كل صنف من هذه المكونات أولاً للذى يليها، فكان آخر المعادن وأول النبات الكمأة، وآخر النبات وأول الحيوان النخلة، وآخر الحيوان وأول الإنسان القرد"[1].

---

١) الصوفي محي الدين ابن عربي: رسائل ابن عربي، القطب والنقباء وعقلة المستوفز، ص١٢٤، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.

وأما النموذج الثاني، فمن المؤرخين، وهو المؤرخ والجغرافي أبو يحي زكريا بن محمد القزويني، المتوفى سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، يقول في باب: النظر في الكائنات، من كتابه: عجايب المخلوقات وغرايب الموجودات:

"وهي متصلة ببعضها بترتيب عجيب ونظام بديع، تعالى صانعها عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فأول مراتب هذه الكائنات تراب، وآخرها نفس مَلَكية طاهرة، فإن المعادن متصلة أولها بالتراب أو الماء، وآخرها بالنبات، والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان، والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان، والإنسان أوله متصل بالحيوان، وآخره بالملائكة ... أول المعادن هو الجص مما يلي التراب، والمِلح مما يلي الماء ... وآخر المعادن مما يلي النبات الكمأة وما شاكلها ... أول مرتبة النبات وأدونها مما يلي التراب خضراء الدمن، وآخرها وأشرفها مما يلي الحيون النخل ... أما الحيوان فأوله ما يشبه النبات، لأن أدون الحيوان الذي ليس له إلا حاسة واحدة، وهو الحلزون، وهو دودة في جوف أنبوبة حجرية توجد في بعض السواحل، وليس لها سمع ولا بصر ولا شم ولا ذوق، إلا اللمس فقط ... وأما مرتبة الحيوانية التي تلي الإنسان، فإن القرد شكل جسده قريب من جسد الإنسان، ونفسه تحاكي أفعال النفس الإنسانية، وكذا الفرس الجواد فإن له ذكاءًا وحسنَ أدب وكرمَ أخلاق، وكذا الفيل فإنه يفهم الخطاب، وأما مرتبة الإنسانية التي تلي الحيوانية، فإن أدنى مرتبة

الإنسانية رتبة الذين لا يعلمون من الأمور إلا المحسوسات، ولا يرغبون إلا في زينة الدنيا ولذاتها"[١].

وأما النموذج الثالث، فمن الفلاسفة، وهو الفيلسوف الفارسي أبو علي أحمد بن مسكويه، المتوفى سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م، يقول: في فصل الأجسام الطبيعية ومراتب الحيوان، من كتابه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، وفي فصل: النبوات، من كتابه: الفوز الأصغر، ونص العبارات منه:

"فنقول إن مرتبة النبات في قبول أثر النفس، هو ما نجم من الأرض ولم يحتج إلى بذر ولم يحفظ نوعه ببذر، كأنواع الحشائش، وذلك أنه في أفق الجماد، والفرق بينهما هو هذا القدر اليسير من الحركة ... إلى أن ينتهي إلى رتبة الكرم والنخل، فإذا انتهى إلى ذلك صار في الأفق الأعلى من النبات، وقبِل حينئذ صورة الحيوان، وذلك أن النخل قد بلغ من شرفه على النبات إلى أن حصل فيه نسبة قوية من الحيوان ومشابهة كثيرة منه ... أول ما يُرى في النبات من منزلته الاخيرة، هو أن ينقلع من الأرض ولا يحتاج إلى إنبات العروق فيها، بما يحصل له من التصرف بالحركة الاختيارية، وهذه الرتبة الأولى من الحيوانية ضعيفة، وإنما تظهر بجهة

---

١) المؤرخ والجغرافي أبو يحي زكريا بن محمد القزويني: عجايب المخلوقات وغرايب الموجودات، ص٢٠٢-٢٠٣، تحقيق: **Ferdinand Wüstenfeld، Verlag Der Dieterichschen Buchhandlung، Göttingen، 1849.**

واحدة، أعني حساً واحداً، وهو حس اللمس، وذلك كالصدف والحلزون الذي يوجد في شاطئ الأنهار وسواحل البحار .... ثم يقوى منه ذلك إلى أن يصير منه الحيوان الكامل في الحواس الخمس ... ثم يقرب من آخر مرتبة للبهائم ويصير في أفقه الأعلى وفي مرتبة الإنسان، وهذه المرتبة وإن كانت شريفة فهي خسيسة بعيدة من مرتبة الإنسان، وهي مراتب القرود وما أشبهها من الحيوانات التي قاربت الإنسان في خِلقة الإنسانية وليس بينها وبينه إلا اليسير الذي إن تجاوزه صار إنساناً"[١]،[٢].

وما ينبغي أن تعلمه الآن، وسوف تتيقن منه وأنت تواصل رحلتك معنا، أن ابن عربي والقزويني وابن مسكويه، وجميع من قالوا بعقيدة التطور البيولوجي في الشرق، أو تلوثت أفكارهم ومؤلفاتهم بإشعاعات منها، ومنهم ابن خلدون، كانوا يغرفون من معين واحد، وجميعهم أخفوا ذلك ونسبوا ما غرفوه لأنفسهم، وهذا المعين كان هو نفسه يحرص على الخفاء حرصهم على الظهور، فهاك هو.

---

١) الفيلسوف الفارسي أبو علي أحمد بن مسكويه: الفوز الأصغر، ص٧٩-٨٢، طبع على نفقة مصطفى فهمي الكتبي، طبع بمطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.

٢) الفيلسوف أبو علي أحمد بن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٥٥-٥٨، طبع على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه، المطبعة الحسينية، مصر، ١٣٢٩هـ/١٩١١م.

إخوان الصفا وخلان الوفا ماسونية الشرق

والآن إليك النموذج المفصل لعقيدة التطور البيولوجي عند الحركات السرية في الشرق، وهو إخوان الصفا ورسائلهم، وهم المصدر الحقيقي لعقيدة التطور البيولوجي، والنبع الذي تدفقت منه.

وإخوان الصفا وخلان الوفا جماعة من الشيعة الإسماعيلية، ظهرت أوائل القرن الرابع الهجري، في البصرة وما حولها، وهي إحدى فروع تنظيم عبد الله بن ميمون القداح الإسماعيلي، وتحمل صبغة كل ما خرج من تنظيم القداح من سمات.

وفي الباب الذي خصصه لإخوان الصفا، من كتابه: تاريخ الفلسفة في الإسلام، فطن المستشرق الهولندي تيتزي دي بور Tjitze de Boer، إلى وجوه الشبه بين إخوان الصفا وحركة عبد الله بن ميمون القداح، يقول:

"كان عبد الله بن ميمون، رئيس فرقة القرامطة، مؤسساً لحركة من هذا الطراز في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي/الثالث الهجري، كان فارسي الأصل، وكان يشتغل بمعالجة العيون، وتدرب على مذهب الفلاسفة الطبيعيين، واستطاع أن يؤلف بين أهل الإيمان وأهل الزندقة، وأن يجعل منهم حزباً يعمل على إسقاط الدولة العباسية"[١].

---

[١]) المستشرق الهولندي تيتزي دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص١١٠، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد عبد الهادي أبو ريدة، بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.

ومثل جميع الحركات السرية، شرقاً وغرباً، لا يُعرف من هو مؤسس حركة إخوان الصفا أو مؤسسوها الحقيقيون، ومن يسجلون على أنهم مؤسسوها ليسوا سوى الواجهات التي يختفي خلفها هؤلاء المؤسسون الحقيقيون.

فإليك واجهات جماعة إخوان الصفا، يخبرك بها أبو حيان التوحيدي، في كتابه: الإمتاع والمؤانسة، وهو نص المحاورات التي جرت بينه وبين أبي عبد الله العارض، وزير صمصام الدولة البويهي، في سبع وثلاثين ليلة.

وأبو حيان التوحيدي أديب ومتفلسف، ولد في بغداد أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، سنة ٣١٠هـ، ومات في شيراز في فارس، أوائل القرن الخامس الهجري، وكان على صلة بإخوان الصفا ومتأثراً بأفكارهم ورسائلهم.

يقول أبو حيان التوحيدي، إن أبا عبد الله العارض قال له:

"حدثني عن زيد بن رفاعة، ما حديثه، وما شأنه، وما خبره، فقد بلغني أنك تغشاه وتجلس عنده وتورق له".

وكان هذا هو جواب أبي حيان التوحيدي على الوزير:

"ذكاء غالب، وذهن وقاد، ويقظة حاضرة، ومتسع في فنون النظم والنثر، مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة، وحفظ أيام الناس، وتبصر في الآراء والديانات ... وقد أقام بالبصرة زماناً طويلاً، وصادف بها

جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة، منهم أبو سليمان محمد بن معشر البِيستي، ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن هارون الزَنجاني، وأبو أحمد المِهرجاني، والعوفي، وغيرهم، فصحبهم، وكانت هذه العصابة قد تآلفت بالعِشرة، وتصافت بالصداقة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله والمصير إلى جنته ... وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة، عِلميها وعَمليها، وأفردوا لها فهرستاً، وسموها رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، وكتموا أسماءهم، وبثوها في الوراقين، ولقنوها للناس"[١].

وهؤلاء الذين أخبرك أبو حيان التوحيدي أنهم مؤسسوا حركة إخوان الصفا ومؤلفو رسائلها، وأنهم كانوا يخفون أسماءهم، جميعهم مجهولوا الهوية، ولن تجد لأحد منهم سيرة ولا ترجمة في أي مصدر، ولا تُعرف أصولهم وأنسابهم ولا لمن ينتمون ومن يكونون على وجه التحديد، وهل هذه هي أسماؤهم حقاً أم لا، كالمعتاد في مؤسسي جميع الحركات السرية شرقاً وغرباً.

فإليك قاضي الإسماعيلية، النعمانَ بنَ حيُّون التميمي المغربي، يخبرك بالمؤسسين الحقيقيين لإخوان الصفا ومؤلفي رسائلهم، في رسالته عن مذهب الإسماعيلية وعقائدهم التي سماها: المذهبة، يقول:

---

١) الأديب أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج٢، ص٣-٥، صححه وضبطه وشرح عربيه: أحمد أمين وأحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩م.

"الأئمة المستورون هم: عبد الله، وأحمد، والحسين، والأربعة الدعاة الذين ورد ذكرهم برسالة الأصول والأحكام، وهم بالتحقيق واضعو رسائل إخوان الصفا، فالأول هو: عبد الله المبارك، والثاني: عبد الله بن حِمدان، والثالث: عبد الله بن سعيد، والرابع: عبد الله بن ميمون القداح"[١].

والإمام المستور هو الذي احتجب عن أتباعه ومؤيديه، ولا يراه ولا يعرفه سوى الخواص والمقربين منه، وله حجة ظاهرة هو الواسطة بينه وبين أنصاره ويبلغهم تعاليمه.

وعبد الله بن ميمون القداح، الذي ذكر القاضي النعمان أنه واضع رسائل إخوان الصفا، هو اليهودي مؤسس التنظيم السري في فارس، الذي أنتج مذهب الشيعة الإسماعيلية وكل ما تفرع عنه من تنظيمات وحركات ودول، ومنها الدولة العبيدية الفاطمية، والثلاثة الآخرون من أعوانه، وجميعهم زعموا أنهم من آل البيت وزوَّروا لأنفسهم أنساباً تصلهم بالأئمة من آل البيت، ويحشدون بها كتل العوام ويمتطونهم.

نقلاً عن علي بن رزام الكوفي، يقول ابن النديم في كتابه: الفهرست، والمقريزي في كتابه: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، عن نسب الفاطميين ومؤسس دولتهم عبيد الله المهدي:

---

١) القاضي النعمان بن حيُّون التميمي المغربي: الرسالة المذهبة، ص٧٢، في: خمس رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، دار الأنصاف، سلمية، سوريا، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

"وكان عبد الله بن ميمون يريد بهذا في الباطن أن يجعل المخدوعين أمة له يستمد من أموالهم بالمكر والخديعة، وأما في الظاهر فإنه يدعو إلى الإمام من آل البيت، محمدٍ بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وعبد الله بن ميمون هذا أصله من موضع بالأهواز يعرف بقَورج العباس، ثم نزل عسكر مُكرَم، وسكن ساباط أبي نوح، وكان يتستر بالتشيع والعلم، وصار له دعاة، فظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحة والمكر والخديعة، فثارت به الشيعة والمعتزِلة، وكسروا داره، ففر إلى البصرة ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الأهوازي، فادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب، وأنه يدعو إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وكانوا قد أحكموا النسب بالبصرة، ثم اشتُهر خبره، فطلبه العسكريون، فهرب هو والحسين الأهوازي إلى سلمية بقرب حمص، واشترى هناك ضياعاً، وبث الدعاة إلى سواد الكوفة، فأجابه رجل يعرف بحِمدان بن الاشعث، ويلقب بقرمط لقصر كان في ساقه ومتنه، وذلك في سنة إحدى وستين ومائتين ... ومات عبد الله بن ميمون، فقام من بعده ابنه أحمد في ترتيب الدعوة ... ثم هلك أحمد، فخلفه ابنه الحسين في الدعوة، فلما هلك الحسين بن أحمد خلفه أخوه محمد بن أحمد المعروف بأبي الشلعلع، وكان للحسين ابن اسمه سعيد، فبقيت الدعوة له حتى كبر ... فمن ولد عبد الله انتشرت الدعوة في الأرض، وقدم الدعاة إلى الري وطبرستان وخراسان واليمن والحسا والقطيف وفارس ... وسار سعيد حتى نزل سجلماسة، وكان دعاته في المغرب قد غلبوا على طائفتين من البربر ... فاتصل بأبي عبد الله الداعي الذي تقدم ذكر خروجه هو وأخوه إلى البربر، فسار حينئذ بالبربر إلى

سجلماسة، وقتل واليها، وصار سعيد صاحب الأمر، وتسمى بعبيد اللـه، وتكنى بأبي محمد، وتلقب بالمهدي، وصار إماماً علوياً من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وتملك البربر، وقلع بني الأغلب ولاةَ المغرب، فعبيد الله الملقب بالمهدي هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن دَيْصان الثنوي الأهوازي، وأصلهم من المجوس"[١]،[٢].

وما أخبرك به ابن النديم والمقريزي، يؤكده لك المؤرخ الفارسي رشيد الدين الهمذاني.

في كتابه: أصول الإسماعيلية، دراسة في الأصول التاريخية للخلافة الفاطمية، ينقُل المؤرخ والمستشرق البريطاني الأمريكي برنارد لويس Bernard Lewis، عن رشيد الدين الهمذاني، أنه:

"أرسل جعفر الصادق حفيده محمد بن إسماعيل، مع أبي شاكر ميمون الدَيْصاني، المعروف باسم ميمون القداح، إلى طبرستان، وبعد موت جعفر عهد ميمون القداح بابنه عبد الله إلى محمد بن إسماعيل، وقال له: "الأبوة الجسمانية Physical Parenthood، تكون بولادة الطفل المادية فقط، أما الأبوة الروحية Spiritual Parenthood فتكون بملازمة شخص بعينه واتباعه، فتقول: فلان ابن رجل ما لأنه ولد من تعاليمه، فكيف لا يكون من تلقى المعرفة والفهم من آخر ابناً له، وهما جوهر الروح

١) الفهرست، ص٢٦٤-٢٦٥.

٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج١، ص٢٥-٢٨.

وحياتها، وأنا ولدت روحياً من محمد بن إسماعيل، وبأسرار المعرفة التي كشفها لي، أصرح بأنني ابنه، وعبد الله هو ابن محمد بن إسماعيل، والأوْلَى بوراثته، وقد عهد به إليَّ، لكي أتولى تربيته وحفظه من مكائد خصومه، ولما بلغ عبد الله السابعة عشرة من عمره، أعلن ميمون القداح أنه الإمام، واعترف به الشيعة دون معارضة"[١].

وكما ترى، أنت أمام قصة تقليدية من قصص اليهود الأخفياء المعتادة والمكررة في كل الأمم عبر التاريخ، وميمون بن دَيصان القداح، الذي نسب نفسه وأبناءه لمحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وصيرهم بهذا النسب أئمة، وصنعوا من خلاله الدولة الفاطمية، ميمون القداح هو نفسه الباب والبهاء، وجمال الدين الأفغاني، وهو اليهود الأخفياء الذين زحفوا على مصر منذ عهد أول الآتين من الخلف وصنعوا بلاليص ستان، وهو ثاني الآتين من الخلف الذي ركبها بعد أن زور نسبه لقبيلة بني مر العربية، وزعم أنه من الصعيد أصل مصر.

ونعود بك إلى إخوان الصفا، وكما ترى، إخوان الصفا ليسوا مجرد جماعة تهتم بالأدب والفلسفة، ولا مجموعة من المتكلمين والمؤلفين، كما قد تتوهم من كلام أبي حيان التوحيدي عنهم، بل كانوا تنظيماً سرياً كلاسيكياً، هو صورة من تنظيم عبد الله بن ميمون القداح في فارس، كما أن الماسونية

---

1) Bernard Lewis: The Origins Of Isma'ilism A Study A Study Of The Historical Background Of The Fatimid Caliphate، P46-47, Cambridge، W. Heffer & Sons Ltd, 1940.

والحركات السرية التي ظهرت في الغرب بعد الحروب الصليبية ليست سوى نسخة مطورة من هذا وذاك.

والهدف الأعلى لهذا التنظيم هو نفسه الهدف الأعلى لحركة عبد الله بن ميمون القداح وجميع الحركات التي تفرعت منه، ألا وهو إسقاط دولة الشر، التي هي الدولة العباسية السنية، وإقامة دولة الخير مكانها، وهي دولة الإمام المستور، أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، الذي هو في الحقيقة ابن عبد الله بن ميمون القداح، فهي دولة اليهود الأخفياء التي يسعون في كل الأمم والعصور إلى إنشائها وإحلالها وإحلال الإلحاد والقبالاه ومنظومتهم القيمية والأخلاقية محل دول عقيدة الإله واجب الوجود وميزانها ومنظومة قيمها وأخلاقها، لكي يتمكنوا من السيطرة على وعي البشر وتسييرهم إلى حيث يريدون بخلابة الرايات المزخرفة والشعارات المبهرجة التي لا ضابط لها ولا ميزان للحكم عليها.

وتنظيم إخوان الصفا كان يتكون من أربع درجات أو مراتب، وينقسم إلى مجالس أو مجموعات سرية.

فأما الدرجات أو المراتب الأربعة، فالأولى هي مرتبة الإخوان الأبرار الرحماء، وهي للأعضاء المبتدئين من سن الخامسة عشرة إلى الثلاثين، وهي التي يتم حشد عموم البشر فيها بالشعارات الجذابة وإغواؤهم بالأفكار الخلابة عن ترقية النفس وتهذيب السلوك، وزيادة العقل بتأويل القرآن، ومزج العقائد والشرائع بالفلسفة والعلوم الطبيعية، والعمل على تآخي البشر جميعاً

من خلال مزج الأديان كلها في دين واحد، وهو نفسه المزيج الذي كانت تبثه الماسونية والحركات السرية في الغرب، بعد انتقال نشاطها ومجال عملها الرئيسي إليه، وهذه الدرجة تقابل درجة الصبي أو المبتدئ في الماسونية Apprentice.

يقول إخوان الصفا في فصل: في ترتيب نفوس إخوان الصفا، من الرسالة الخامسة والأربعين، وعنوانها: في كيفية معاشرة إخوان الصفا وتعاون بعضهم مع بعض:

"واعلم أن قوة نفوس إخواننا في هذا الأمر الذي نشير إليه ونحث عليه على أربع مراتب، أولها صفاء جوهر نفوسهم وجودة القول وسرعة التصور، وهي مرتبة أرباب ذوي الصنائع في مدينتها التي ذكرناها في الرسالة الثانية، وهي القوة العاقلة المميزة لمعاني المحسوسات، الواردة على القوة الناطقة، بعد خمس عشرة سنة من مولد الجسد، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ (النور: ٥٩)، وهم الذين نسميهم في مخاطبتنا ورسائلنا إخواننا الأبرار والرحماء"[١].

والمرتبة الثانية، مرتبة الإخوان الأخيار الفضلاء، وهم رؤساء المرتبة الأولى، ممن بلغوا سن الثلاثين، تقول الرسالة الخامسة والأربعون:

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص١١٩، عني بتصحيحه: خير الدين الزركلي، المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر، لصاحبها: مصطفى محمد، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

"وفـوق هـذه المرتبـة مرتبـة الرؤسـاء ذوي السياسـات، وهـي مراعـاة الإخوان، وسخاء النفس، وإعطاء الفيض والشفقة والرحمـة والتحنن علـى الإخوان، وهي القوة الحُكمية الواردة على القوة العاقلة بعد ثلاثين سنة من مولد الجسد، وإليها أشار جل ذكره بقولـه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ (القصص: ١٤)، وهـم الـذين نسـميهم فـي رسـائلنا إخواننـا الأخيار والفضلاء"[١].

والمرتبة الثالثة، هم الإخوان الفضلاء الكرام، الذين بلغوا أربعين سنة، وهم الـذين يعرفـون نـاموس التنظـيم معرفـة كاملـة مطابقـة لـدرجتهم، وهـم أربـاب الأمـر والنهـي والفصـل بـين الأعضـاء فـي التنظـيم، والمسؤولون عـن نشـر التنظـيم وأفكـاره، وتجنيـد أعضـائه، ومواجهـة خصـومه، وهـي تقابـل درجـة الأستاذ Master، في محافل الماسونية الزرقاء، أو مرتبة الماسونية الرمزيـة، وهــي المرتبــة المشــتركة بــدرجاتها الــثلاث بــين جميــع طقــوس الماســونية ومذاهبها.

تقول الرسالة الخامسة والأربعون:

"والمرتبـة الثالثـة فـوق هـذه، وهـي مرتبـة الملـوك ذوي السـلطان والأمـر والنهي والنصر والقيام بـدفع العنـاد والخـلاف عند ظهـور المعانـد المخـالف لهـذا الأمـر بـالرفق واللطـف والمـداراة فـي إصـلاحه، وهـي القـوة الناموسـية الـواردة بعد مولـد الجسـد بـأربعين سـنة، وإليهـا أشـار بقولـه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص١١٩.

أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ **(الأحقاف: ١٥)، وهم الذين نسميهم إخواننا الفضلاء الكرام"[١].**

والمرتبة الرابعة، هم من بلغوا سن الخمسين من الأعضاء، فيصيرون في مرتبة الملائكة ويشاهدون الحق عِياناً، وهي بمواصفاتها هذه تقابل الدرجة السامية في الطقس الاسكتلندي من الماسونية Sublime، وهي الدرجة الثالثة والثلاثون، درجة القائد والمفتش الأعظم Grand Inspector Inquisitor Commander.

تقول الرسالة الخامسة والأربعون:

"والرابعة فوق هذه، وهي التي ندعو إليها إخواننا كلهم في أي مرتبة كانوا، وهي التسليم وقبول التأييد، ومشاهدة الحق عياناً، وهي قوة المَلَكية الواردة بعد خمسين سنة من مولد الجسد، وهي الممهدة للمعاد والمفارقة للهيولى، وعليها تنزل قوة المعراج، وبها تصعد إلى ملكوت السماء، فتشاهد أحوال القيامة من البعث والنشر والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران ومجاورة الرحمن ذي الجلال والإكرام، وإلى هذه الرتبة أشار بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ **(الفجر: ٢٧ – ٣٠)، وإليها أشار إبراهيم عليه السلام، بقوله تعالى:**

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص١١٩.

﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ (الشعراء: ٨٥)، وإليها أشار يوسف عليه السلام، بقوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ (يوسف: ١٠١)، وإليها أشار المسيح عليه السلام، بقوله للحواريين: "إني إذا فارقت هذا الهيكل، فأنا واقف في الهواء عن يمين العرش بين يدي أبي وأبيكم، أتشفع لكم، فاذهبوا إلى الملوك في الأطراف، وادعوهم إلى الله تعالى، ولا تهابوهم، فإني معكم حيث ما ذهبتم بالنصر والتأييد"، وأشار إليها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: "إنكم تردون على الحوض غداً"، وإليها أشار سقراط بقوله يوم سُقي السم: "إني وإن كنت أفارقكم إخواناً فضلاء، فإني ذاهب إلى إخوان كرام قد تقدمونا"، وإليها أشار فيثاغورث في الرسالة الذهبية بقوله: "إنك إذا فعلت ما أوصيك عند مفارقة الجسد، تبقى في الهواء غير عائد إلى الإنسية ولا قابل للموت"[١].

وأما مجالس تنظيم إخوان الصفا، فكانت مجموعات سرية، وتلتقي في الخفاء، وكل مجموعة تتكون من أعضاءٍ ولها رئيس، يعرفهم ولا يعرفونه ولا يعرفون عنه سوى أنه الداعي، ويطيعونه طاعة مطلقة، وبخلاف هذا الرئيس الداعي فكل مجموعة لا علم لها بالمجالس والمجموعات الأخرى، ومهمة الداعي أن يعيد تكوين أعضاء المجموعة وتربيتهم على عقائد إخوان الصفا

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص١٢٠.

وغاياتهم، من خلال تلقينهم الرسائل وكتب الجماعة الأخرى وشرحها لهم، ويجب على الرئيس أن يعقد مجلسه أو مجموعته كل اثني عشر يوماً.

تقول الرسالة الخامسة والأربعون من رسائل إخوان الصفا العامة، التي تخاطب عموم أعضائها:

"اعلم أيها الأخ، أيدك الله وإيانا بروح منه، أنه ينبغي لإخواننا، أيدهم الله، حيث كانوا من البلاد، أن يكون لهم مجلس خاص يجتمعون فيه في أوقات معلومة، لا يداخلهم فيه غيرهم، يتذاكرون فيه علومهم، ويتحاورون فيه أسراراهم، وينبغي أن تكون مذاكرتهم أكثرها في علم النفس، والحس والمحسوس، والعقل والمعقول، والنظر والبحث عن أسرار الكتب الإلهية والتنزيلات النبوية، ومعاني ما تضمنها موضوعات الشريعة، وينبغي أيضاً أن يتذكروا العلوم الرياضيات الأربعة، أعني العدد والهندسة والتنجيم والتأليف، وأما أكثر عنايتهم وقصدهم فينبغي أن يكون البحث عن العلوم الإلهية التي هي الغرض الأقصى"[١].

فإليك حقيقة هذه المجالس، من الرسالة الجامعة، أو الرسالة الخاصة التي ينسبها مؤرخو الإسماعيلية وأتباعها للإمام المستور أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل، الذي هو أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح، والموجهة للدعاة أو الرؤساء في التنظيم، تقول:

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص١٠٥.

"اعلم يا أخي، أيدك الله بروح منه، أن الذي يجب أن نوصيك به، ونلقيه إليك، ونعتمد فيه عليك، من مراعاة إخوانك، ومن قِبلك من أصحابك، ومن استجاب لك ومن يستجيب إن شاء الله، أن تجعل لهم مجلساً تجمع فيه جماعاتهم، كل اثني عشر يوماً يوماً واحداً، يجتمعون فيه حيثما اتفق لهم من مواضعهم وأمكنتِهم، بحيث يأمنون فيه على أنفسهم، ويكون اجتماعهم على تقوى الله .... فإذا اجتمعوا بحيث تراهم وتعاينهم، فابرز لهم واخرج عليهم في زيك وحللك وجليل هيبتك، كبروز النفس الكلية للنفس الجزئية ... فاتل عليهم من حكمتك، وعظهم بتذكيرك، وعرفهم أن تكون أكثر عنايتهم وقُصارى همتهم وسعيهم البحث عن الأمور الإلهية والآراء العقلية ... وعرفهم أن أصلح الأعمال وأجل الأفعال تفقد إخوانهم وتدبير أمورهم، وأن يتواصلوا ويتهادوا ويتحابوا، ويعظ بعضهم بعضاً في الله، واتل عليهم هذه الرسائل من أولها إلى آخرها، رسالة رسالة، ومقالة مقالة، ولا تزال كذلك، حتى تستخلص طائفة منهم لنفسك وترمقهم لعينك، فإذا استخلصتهم بعد إيقاع المحنة بهم في أمور دنياهم ومواضع المحبوبات، إذا أمرتهم ببعد الأقارب المحبوبين في الله وصلة الأباعد في الله فامتثلوا، ونفقة الأموال في سبيل الله فأنفقوا، والجهاد في سبيله بالأنفس فبذلوا، والخروج من الأوطان في الله فخرجوا وفارقوا الأحباب وأيتموا الأولاد وأرملوا النسوان، فعند ذلك، إذا صبروا على هذه المحن، فهذبهم بعملك، واتل عليهم الكتب المصونة والأسرار المخزونة والعلوم المكنونة، بشرح ما في هذه الرسالة الجامعة، وما في غيرها من الكتب التي ألقيناها إليك، وهي: المدارس الأربع، والكتب

السبعة، والجفران، والرسائل الخمس والعشرون، والرسائل الاثنتان والخمسون، والرسالة الجامعة، فعرفهم جميع ذلك، وأوقفهم على الأسرار، وعلى معاني الأخبار، فإذا قبلوا ذلك عنك، ورأيته مصوراً فيهم ومستقراً عندهم، فاجعل على كل جبل منهم جزءًا ثم ادعهم يأتوك سعياً"(١).

وحقيقة مجالس إخوان الصفا، أنها محاضن لإعادة تكوين الأعضاء، وصناعة وعيهم، وبرمجة عقولهم، وبناء أذهانهم ونفوسهم، لكي يفهموا الوجود والحياة كما يريد من يسيطرون على التنظيم، ويفعلوا ما يريدونه طواعية، لأن امتلاك النفوس هو الامتلاك الحقيقي للإنسان، وليس امتلاك الأجسام، كما يخبرك فصل: المدينة الفاضلة، في الرسالة الثامنة والأربعين، وعنوانها: في كيفية الدعوة إلى الله:

"ويكون بناء هذه المدينة في مملكة صاحب الناموس الأكبر، الذي يملك النفوس والأجساد، لأن من ملك النفوس ملك الأجساد، ومن لم يملك النفوس لم يملك الأجساد"(٢).

وصناعة وعي عموم البشر وبرمجة عقولهم والسيطرة عليهم بامتلاك أذهانهم ونفوسهم وتقييدها بسلاسل ناعمة وغير مرئية، لكي يفعلوا ما يُراد منهم وهم يتوهمون أنهم هم الذين أرادوه، هي الغاية العليا للماسونية ولجميع

---

١) الإمام المستور أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق: الرسالة الجامعة، ص٥٣٨-٥٣٩، تحقيق: دكتور مصطفى غالب، دار الأندلس، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨١م.
٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص٢٢٠.

الحركات السرية، كما نقلنا لك عن القبالي والماسوني ألبرت بايك، وهو يفسر أخطاء منظمة فرسان الهيكل، وكيف عالجتها الماسونية، يقول:

"وجهت الماسونية عنايتها إلى صناعة عقول من يصلون إلى السلطة وتكوين نفوسهم، فتكون أفكارها بذلك هي التي في السلطة وهي التي تحكم دون أن يراها أحد في العروش، لأنها هي عقل من يصلون إلى السلطة ومن يعتلون العروش"[١]!

ومجالس إخوان الصفا، كما ترى، لم تكن سوى خلايا ومحافل سرية نموذجية، لتجنيد الأعضاء وإعادة تكوينهم بمعتقدات إخوان الصفا وأفكارهم، دون أن يعرف أعضاء الخلايا أو المحافل قادة التنظيم أو يسمعوا بهم، ودون أن يعرف أعضاء كل خلية أو محفل الخلايا الأخرى ومن يكون أعضاؤها، ودون أن يعرفوا غاية التنظيم الحقيقية وما يريده منهم ويُعدهم له.

وهذه هي نفسها طريقة التجنيد والتكوين والتصعيد في جميع الحركات السرية التي شهدها الغرب بعد أن انتقل تمركز الحركات السرية ونشاطها الرئيسي إليه، إبان الحروب الصليبية.

يقول اليهودي الماسوني سبارتاكوس أو آدم فيسهاوبت، المؤسس العلني لتنظيم الإليوميناتي وأستاذه الأعظم:

---

1) Morals And Dogma of The Ancient And Accepted Scottish Rite of Freemasonry, P820.

"تحتي مباشرة اثنان أبث فيهما أفكاري وأنفث روحي I Breathe My Whole Spirit، وتحت كل منهما اثنان آخران، وهكذا، وبهذه الصورة يمكنني أن أسيطر على ألف رجل وأحركهم في سهولة ويسر، وأفعل بهم ما أشاء، دون أن يروني ولا أن يعلموا عني شيئاً، وهذه هي الطريقة التي يجب اتباعها في إصدار الأوامر والعمل بالسياسة"(١)!

بل، وأيضاً مثل جميع الحركات السرية، لم يكن أعضاء كل مجلس يعرفون أصلاً أن مجلسهم خلية في تنظيم سري، وأنهم أعضاءٌ في هذا التنظيم، إلا بعد اكتمال تكوينهم فيه، وهم على مشارف التخرج منه.

وكثير من المؤرخين والمتفلسفين والباحثين الأميين في بلاليص ستان قرأوا رسائل إخوان الصفا، وألفوا كتباً فيها، بعد أن طُبعت مرات عديدة منذ أواخر القرن التاسع عشر، لكنهم لم يدركوا حقيقتها، ولا فهموا ما الذي كان يفعله إخوان الصفا بها، لأنهم أمسكوا بالرسائل المطبوعة بين أيديهم، ولم ينتبهوا إلى أن أعضاء خلايا إخوان الصفا لم يكونوا يمسكونها ويقرأونها كاملة مثلهم.

ولكي تدرك ما الذي كان يفعله تنظيم إخوان الصفا فيمن يقعون في حبائله وينضمون لمجالسه من الأغرار الذين يتراوح عمرهم بين الخامسة عشرة والثلاثين، نريدك أن تذهب إلى رسائل إخوان الصفا الاثنتين وخمسين وتقلب صفحاتها وتطلع على عناوين رسائلها وفصولها، وأنت على وعي أن

1) Secret Societies And Subversive Movements, P223.

هذه الرسائل التي تقع في أربعة مجلدات، لم تكن تُعطى للداخلين في المجالس ولأعضائها كتباً كاملة، كما ظهرت بعد عدة قرون، وكما تمسكها بين يديك، ولا كانوا يطلعون عليها ويقلبون فيها من أولها لآخرها، كما تفعل أنت الآن، بل كان الداعي أو رئيس الخلية يقرأ لهم فقرة فقرة وفصلاً فصلاً، ويشرحها لهم، ويغرسها في عقولهم ونفوسهم، ويربيهم على ما فيها من معتقدات وتعاليم وسلوك، فإذا أنهى فصول رسالة وتيقن من تشبعهم بما فيها، انتقل إلى التي تليها، وهكذا.

فإذا فطنت إلى ذلك، ستدرك وحدك أن أعضاء المجالس أو الخلايا، لم يكونوا يعرفون أن إخوان الصفا تنظيم سري، ولا أنهم أعضاءٌ في مجالس تنتمي إلى هذا التنظيم، ولا أن لقب الإخوة الأبرار الرحماء الذي تخاطبهم به الرسائل، هم المرتبة الأولى في هذا التنظيم، ويعلوهم مراتب أخرى، إلا في الرسالة الخامسة والأربعين، بعد أن عبروا أربعاً وأربعين رسالة، وبعد أن تم تغيير بنائهم الذهني والنفسي، وتشربوا معتقدات تنظيم إخوان الصفا وتعاليمه التي تحويها الرسائل الأربع وأربعون، في مسألة الألوهية وعقيدة الخلق ومكونات الوجود والمخلوقات والطبيعة وعلاقة الإله بها، وفي المزج بين الديانات والمذاهب وأنها كلها حق، وفي الفلسفة وتعاليم الفلاسفة الوثنيين، وفي النجوم والتنجيم والسحر، وفي أن القرآن كتاب العامة وأن تأويله في رسائلهم هو كتاب الأئمة والخاصة، وفي أنه يجب إسقاط دولة الشر العباسية السنية، وإقامة دولة الخير والإمام المستور، التي هي دولة اليهود الأخفياء.

الإخوة الأبرار الرحماء في مجالس إخوان الصفا، لم يكونوا يعرفون أنهم أعضاءٌ في تنظيم سري، إلا بعد أن يصبحوا على ديانته ومعتقداته، وقد تمت تربيتهم على ما يريده لهم من آداب وسلوك، وصاروا يرون كل شئ في الوجود والحياة من خلاله، وكما يريد قادته الذين لا يراهم ولا يعرفهم ولا يدرك وجودهم، وبعد أن لم يعد ثمة رجوع.

وتنظيم إخوان الصفا، كان يستخدم لغة سرية مشفرة، يعرفها الدعاة أو رؤساء المجالس والخلايا، ولا يعرفها أعضاؤها، كما تخبرك الرسالة الجامعة، المنسوبة للإمام المستور، والموجهة للدعاة الذين تخرجوا من التنظيم، وصاروا من الرؤساء، وليس لعموم أعضاء المجالس والخلايا، ومفردات هذه اللغة السرية المشفرة هي أشكال النباتات والحيوانات والأفلاك والبروج، تقول الرسالة الجامعة:

"قد قلنا لك في رسالة كيفية الدعوة، إن لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا، ولا يطلع على حقائقها سوانا، ولا يعلمها الناس إلا من قِبلنا، ولا يتعلم قراءتها إلا من علمناه، ولا يعرف صور حروفها إلا من عرفناه، وهي صورة الموجودات بما هي عليه الآن ظاهرة للحواس ومرئية للناس، منها حركات الأفلاك الدائرات، والكواكب السائرات، وأركان الأمهات، وفنون أشكال النبات، وعجائب هياكل الحيوانات"[1].

---

١) الرسالة الجامعة، ص٥٢٦.

ومثل جميع الحركات السرية، كان تنظيم إخوان الصفا يبث معتقداته وأفكاره بين عموم الناس مموهة وغير صريحة، لكي يكتسب الأنصار والأتباع ويوسع دائرة تجنيد الأعضاء، ومعيار النجاح عنده ليس فقط في عدد من ينضمون إليه، بل وأيضاً في تسريب معتقداته في المجتمعات وبثها في مختلف الطبقات والفئات، وانتشارها بين الأدباء والمؤلفين، وظهور آثارها فيما يؤلفونه ويكتبونه، وتطعيم حشود العوام بها، وصناعة كتل من هذه العوام تتبع أفكارهم وترى الوجود والحياة من خلالها، وتكون جاهزة لأن يحركوها في الاتجاه الذي يريدونه، ويجعلوا منها قوة عمياء تكتسح خصومهم وما يسعون للإطاحة به إذا تهيئت الظروف وأتاحت لهم ذلك.

يقول إخوان الصفا في رسالتهم الثامنة والأربعين: في كيفية الدعوة إلى الله:

"واعلم أيها الأخ البار الرحيم، أيدك الله وإيانا بروح منه، أن لنا إخواناً وأصدقاءَ من كل كرام الناس وفضلائهم، متفرقين في البلاد، فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والعمال والكتاب، ومنهم طائفة من أولاد الأشراف والدهاقين والتجار، ومنهم طائفة من أولاد العلماء والأدباء والفقهاء وحملة الدين، ومنهم طائفة من أولاد الصُناع والمتصرفين وأمناء الناس، وقد ندبنا لكل طائفة أحداً من إخواننا ممن ارتضيناه في بصيرته ومعارفه، لينوب عنا في خدمتهم بإلقاء النصيحة إليهم بالرفق والرحمة والشفقة عليهم، وليكون عوناً لإخوانه بالدعاء لهم إلى الله سبحانه، وإلى ما جاءت به أنبياؤه، وما أشارت إليه أولياؤه من التنزيل والتأويل لإصلاح

أمر الدين والدنيا جميعاً، وقد اخترناك أيها الأخ الرحيم، أيدك الله وإيانا بروح منه، لمعاونتهم، وارتضيناك لمشاركتهم بما آتاك الله من فضله من العقل والفهم والتمييز وحرية النفس وصفاء جوهرها، لتكون مساعداً لهم"[١].

وهاك نسخة طبق الأصل من استراتيجية إخوان الصفا، في استراتيجية آدم فيسهاوبت لنشر منظمة الإليوميناتي وبث أفكارها وتجنيد الأعضاء لها، يقول سبارتاكوس أو آدم فيسهاوبت في رسالة إلى كاتو، أو لورنزو سواك:

"يجب أن تتغلغل منظمة الإليوميناتي وأفكارها في جميع المواقع والمراكز القيادية في الحياة المدنية، ويجب أن نفوز بالشخصيات العامة والمؤثرة في كل ركن We Must Win The Common People In Every Corner، عن طريق التودد لهم، والتحلى بالحلم أمامهم، وغمرهم بالمشاعر الحميمة، وكذا عن طريق المظاهر الاحتفالية وبريقها، والظهور في الأعمال الإنسانية والمشاركة في الأنشطة الشعبية"[٢].

وأحد أكبر وسائل الحركات السرية شرقاً وغرباً، في إغراء من تستكشفهم وثبث فيهم أفكارها من عموم الناس، بالانضمام إليها، ثم تجنيدهم، إيهام كل

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص٢٣٥-٢٣٦.

2) John Robinson: Proofs Of Conspiracy Against All The Religions And Governments Of Europe Carried On The Secret Meetings Of Freemasons, Illuminati And Reading Societies, P147, 3rd Edition, Printed For T. Dobson, No.41, South Second Street, And W. Cobbet, No.25, North Second Street, Philadelphia, 1798.

فرد أنها تتوافق مع مصالحه ومنافعه، وأن انضمامه لها سيفتح له سبل الثروة والسلطة والنفوذ والترقي في المجتمع.

فهاك النسخة الشرقية من هذه الاستراتيجية، في الرسالة الثامنة والأربعين من رسائل إخوان الصفا:

"فإذا عرفت أيها الأخ البار الرحيم منهم أحداً وآنست منهم رشداً، عرِّفنا حاله وما هو بسبيله من أمر دنياه وطلب معايشه وتصرفه في حالاته، لكي نعرف ذلك ونعاونه على ما يليق به من المعاونة، فإن كان ممن يخدم السلاطين ويتصرف في أعمالهم، أوصينا إخواننا ممن يكون بحضرة السلاطين والملوك بالنيابة عنه والنصيحة له وحسن الرأي فيه لدى الملوك والسلاطين والوزراء، وإن كان من أبناء التناء والدهاقين والأشراف وأرباب الضياع، أوصينا إخواننا ممن يتولى عمل السلطان بصيانته وحسن معاونته في ملته وكف الأذية عنه، وقبض أيدي الظالمين عن البسط إليه، وإن كان من أبناء أصحاب النعم وأرباب الأموال عاوناه بحسب ذلك، وإن كان من الفقراء المحتاجين واسيناه مما آتانا الله من فضله"[1].

---

1) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص١٦٥، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، جمادى الأولى ١٤٠٥هـ.

ثم هاك النسخة الغربية المنسوخة من النسخة الشرقية، يقول فرانسوا كلافِل François Begue Clavel، وهو ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين في الشرق الأعظم الفرنسي، في كتابه: تاريخ الماسونية والجمعيات السرية الخلاب Histoire Pittoresque de la Franc-Maconnerie، الذي أصدره سنة ١٨٤٣م:

"يصف أعضاء الماسونية جمعيتهم وصفاً شائقاً، فيقولون إنها جمعية خيرية غايتها الترقي، وأن أعضاءها إخوة يعيشون بالإخاء والمساواة ... وإن رأينا أحداً به فضول ويتوق إلى معرفة الأسرار قلنا له إن في الماسونية أسراراً لا يعرفها غيرنا Secrets Dans La Franc-Maçonnerie Que Nous Seuls Connaissons... وإن عثرنا على رجل يرغب في الرفاهية وطيب العيش ندعوه إلى المآدب ليشرب الخمر ويأكل أشهى الطعام ... وإن كان المقصود إدخالهم في الماسونية من رجال الصناعة والتجارة نثبت لهم أن الماسونية شركة تفيدهم في أرباحهم وتوسع نطاق أعمالهم وتزيد عدد زبائنهم، وقس على ذلك بقية الناس"[1].

وإخوان الصفا، كما ترى، لم تكن سوى تنظيم سري نموذجي، والماسونية والإليوميناتي والحركات السرية التي ازدهرت في الغرب ليست إلا بنات

---

1) François Begue Clavel: Histoire Pittoresque De La Franc-Maconnerie ET Des Sociétés Secrètes, P260, Pagnerre, Paris, 1844

التنظيمات السرية التي نشأت في فارس، بؤرة الحركات السرية في الشرق، واليهود الأخفياء والقبالاه روح هذه وتلك، كما يخبرك الرجل الثاني في تنظيم الإليوميناتي، فيلو Philo، وهو الاسم الحركي للبارون فون كنيجه Von Knigge، في رسالته إلى لورنزو سواك، الأمين على وثائقها، يقول:

"**العقائد اليهودية Jewish Theosophy سر خفي، ولا يصلح الرعاع لفهمها، وقد ظلت هذه العقائد شعلة خابية عبر التاريخ Vestal Fire، لم يحفظها ويحافظ عليها سوى الجمعيات السرية، وهي الآن في حوزة صفوة الماسونية وخلصائها**"[١].

والفرق بين الحركات السرية في الشرق وفي الغرب، أن معتقدات الحركات السرية في الشرق وتعاليمها وغاياتها مموهة في معتقدات الإسلام ومطعمة بآيات القرآن والبسملة والحوقلة والصلاة على النبي، لأنه لا سبيل لها لأن تسري بين عموم الناس إلا بهذا التمويه والتطعيم، إذ الوحي ومرجعيته الراسخة في بلاد الإسلام تكبلها وتعرقل حركتها، ثم هم يفتحون طريق سريانها بين كتل العوام والدَهْماء، بتغليفها في محبة النبي والانتصار لآل بيته ونصرة أئمتهم.

---

1) **Proofs Of Conspiracy Against All The Religions And Governments Of Europe Carried On The Secret Meetings Of Freemasons, Illuminati And Reading Societies, P117.**

ورسائل إخوان الصفا العامة الموجهة لعموم أعضاء التنظيم، اثنتان وخمسون رسالة، تمتزج فيها الأفكار والعقائد من جميع الديانات والمذاهب بالفلسفة والمعتقدات القبالية والأفكار الباطنية والممهدة للإلحاد، والعلوم الطبيعية والرياضيات بالتنجيم والسحر والتعازيم، وآيات القرآن والدعوة إلى الهدى بالضلالات وأقوال فلاسفة الإغريق الوثنيين والزرادشتين والمانويين والمجوس، وخلط ذلك كله بالقصص والحكايات لتكون وسيلة تسريب هذا المزيج وعناصره في أذهان الأعضاء ونفوسهم، وإذا أردت أن تصفها بعبارة واحدة، فنصفها الأول أنها موسوعة شاملة لكل صنوف المعرفة في زمانها، ونصفها الآخر أنه تلتبس في كل موضوعاتها ومجالاتها الحقائق والمعارف بالضلالات والأباطيل.

وقد نقلنا لك من قبل عن أبي حيان التوحيدي، في كتابه: الإمتاع والمؤانسة، أن مؤلفي رسائل إخوان الصفا، هم أبو سليمان محمد بن معشر البِيستي، ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن هارون الزَنجاني، وأبو أحمد المِهرجاني، والعوفي، ونقلنا عن قاضي الإسماعيلية، النعمان بن حيُّون التميمي المغربي، في رسالته عن مذهب الإسماعيلية وعقائدهم التي سماها: المذهبة، أنه:

"الأربعة الدعاة الذين ورد ذكرهم برسالة الأصول والأحكام، وهم بالتحقيق واضعو رسائل إخوان الصفا، فالأول هو: عبد الله المبارك،

والثاني: عبد الله بن حمدان، والثالث: عبد الله بن سعيد، والرابع: عبد الله بن ميمون القداح"[1].

وما نقوله نحن لك، إن رسائل إخوان الصفا، تحوي معارف متعددة وواسعة، وفي جميع مجالات المعرفة، وهي كما أخبرناك، تشبه في تنوعها وشمولها الموسوعات الحديثة، وتشمل الديانات والعقائد، والمذاهب والفلسفات، والتاريخ والجغرافيا، وعلم الفلك، والرياضيات والهندسة، والتنجيم والسحر، والقصص والحكايات، ولا يمكن أن يكون مؤلفوها، مع هذا التنوع والشمول لجميع أنواع المعارف، أربعة أشخاص فقط، فهؤلاء الأربعة هم من قاموا بتحريرها وليس بتأليفها، أما مؤلفو موادها فهم جماعة كبيرة، لأفرادها بناء ذهني ونفسي واحد وغاية مشتركة، ويتمم بعضهم عمل بعض، وهي في المعارف بالضبط مثل ألف ليلة وليلة في الآداب.

فارجع إلى باب: ألف ليلة وليلة، من كتابنا: شفرة سورة الإسراء، لتعلم على وجه التحقيق من هي الجماعة التي تعاضدت على تأليف ألف ليلة وليلة، ثم اعلم أن طائفة أخرى من هذه الجماعة نفسها هي التي تعاضدت على تأليف رسائل إخوان الصفا، وأن غاية من وضعوا هذه هي نفسها غاية من وضعوا تلك، ألا وهي إزاحة مسألة الألوهية ومنظومة القيم والأخلاق التي ترتبط بعقيدة الإله واجب الوجود وتجاوز القرآن وإسقاط الدولة العباسية السنية وإقامة دولة اليهود الأخفياء والحركات السرية، في رسائل إخوان

---

١) **الرسالة المذهبة، ص٧٢.**

الصفا عبر خلط المعارف بالضلالات، وفي ألف ليلة وليلة عبر تسريب هذه الضلالات نفسها في القصص والحكايات[1].

والآن إليك عينات من المزج بين الديانات والعقائد جميعها، ومن المعتقدات القبالية والأفكار الممهدة للإلحاد، في رسائل إخوان الصفا، وهو نفسه المزيج وهي نفسها المعتقدات والأفكار التي انتقلت إلى الغرب مع انتقال تمركز اليهود الأخفياء والحركات السرية إليه، ثم ازدهرت وتحولت إلى نظريات وعلوم وآداب وفنون، وصنعته وصبغت كل شئ فيه.

فأما مزج تنظيم إخوان الصفا ورسائله بين الديانات والمذاهب العقائدية جميعها، وتسريبهم في أذهان أعضائهم ومن يقرؤون الرسائل أنها جميعاً حق وطرق مختلفة ومتساوية للوصول إلى الإله، ففي الرسالة الثانية والعشرين، وعنوانها: في كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها، تدور محاورة بين الإنس من مختلف الأجناس والديانات ومعهم الجن وأصناف الحيوانات والطيور، أمام الملك، فيسأل الملك الإنس:

"فقال الملك: فلم تختلفون في الآراء والمذاهب والديانات والرب واحد؟".

فيجيبه الإنسي الفارسي:

"قال: لأن الديانات والآراء والمذاهب إنما هي طرق ومسالك ومحاريب ووسائل، والمقصود واحد، من أي الجهات توجهنا فثم وجه الله"[1].

---

١) دكتور بهاء الأمير: شفرة سورة الإسراء، دار مدبولي للنشر، طبعة جديدة، القاهرة، ٢٠٢٣م.

وأما مزجهم بين الديانات وبين الفلسفة، فتقول الرسالة الخامسة والأربعون، في كيفية معاشرة إخوان الصفا وتعاون بعضهم مع بعض:

"وبالجملة ينبغي لإخواننا، أيدهم الله تعالى، أن لا يعادوا علماً من العلوم، أو يهجروا كتاباً من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها، وذلك أنه هو النظر في جميع الموجودات بأسرها الحسية والعقلية، ومن أولها إلى آخرها، ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها، بعين الحقيقة ... وقد ذكرنا في الرسالة الثانية أن علومنا مأخوذة من أربعة كتب، أحدها الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة، والآخر الكتب المنزلة التي جاءت بها الأنبياء، صلوات الله عليهم، مثل التوراة والإنجيل والفرقان وغيرها من صحف الأنبياء المأخوذة معانيها بالوحي من الملائكة، وما فيها من الأسرار الخفية، الثالث الكتب الطبيعية، وهي صور أشكال الموجودات بما هي عليه الآن من تركيب الأفلاك، وأقسام البروج، وحركات الكواكب ومقادير أجرامها، وتصاريف الزمان، واستحالة الأركان، وفنون الكائنات من المعادن والحيوان والنبات، وأصناف المصنوعات على أيدي البشر، والنوع الرابع الكتب الإلهية التي لا يمسها إلا المطهرون الملائكة التي هي بأيدي سفرة كرام بررة"[٢].

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٢، ص٣٠٨.

٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص١٠٥-١٠٦.

ويقول أبو حيان التوحيدي، في كتابه: الإمتاع والمؤانسة، في تفسير مزج إخوان الصفا بين عقائد الإسلام وشريعته وبين الفلسفة:

"ذلك أنهم قالوا: الشريعة قد دُنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ... وقال المقدسي: "الشريعة طب المرضى والفلسفة طب الأصحاء، والأنبياء يُطبون المرضى حتى لا يتزايد مرضهم، وحتى يزول المرض بالعافية، أما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصحة على أصحابها حتى لا يعتريهم مرض أصلاً"[1].

ومن غرائب مزج إخوان الصفا بين الديانات وتلفيقهم بين العقائد، تسريبهم في نفوس أعضاء التنظيم عقيدة صلب المسيح، وأن له لاهوتاً وناسوتاً، وهي مسألةٌ الخلاف فيها بين الإسلام والمسيحية صريح ولا لبس فيه.

تقول الرسالة السادسة والأربعون، وعنوانها: في ماهية الإيمان وخصال المؤمنين المحققين، ضمن الأمثلة التي توردها عن الصبر والرضا بالمقادير:

---

1) الإمتاع والمؤانسة، ج٢، ص٥، ١١.

"ومثل ذلك أن رضي المسيح بقضاء الله، وانقاد للمقادير، وسلم ناسوته إلى اليهود طيبة به نفسه، راضياً بحكم الله الذي هو علمه السابق بالكائنات قبل كونها، إذ لا يكون شيء بخلاف ما علم"[1].

والعمل على مزج الديانات جميعها والمذاهب العقائدية كلها، وخلطها بالفلسفة والمعتقدات الباطنية والوثنية، في غلاف توحيد الإنسانية، وإزالة العداوات بين أهل الديانات والمذاهب، إحدى استراتيجيات الحركات السرية الكلاسيكية التي ورثتها الحركات السرية في الغرب عن جذورها في الشرق ثم طورتها، وهدفها الحقيقي والخبئ إزاحة مسألة الألوهية، ومحو جميع الديانات، والإطاحة بمعيارها وميزانها، وإحلال معتقدات الحركات السرية وغاياتها محلها، ليتحول أتباع الديانات تلقائياً إلى أتباع طائعين لها، فتسيرهم إلى حيث تريد.

فهاك اليهودي القبالي والماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين وحبر الماسونية الأعظم في القرن التاسع عشر، ألبرت بايك، يخبرك في كتابه: عقيدة الطقس الاسكتلندي القديم وآدابه، بهذه الاستراتيجية صريحة، وأن الحركات السرية هي التي خلفها:

"جميع من ينتسبون إلى الماسونية إخوتنا، أياً كانت عقائدهم ودياناتهم، فالحقيقة موجودة في الأديان كلها، ونحن نوقر جميع الديانات، ونحترم جميع المعلمين والمصلحين في الجنس البشري، والفلسفة الخفية

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص١٣٤.

هي الأم الروحية لجميع الديانات Godmother Of All Religions، والقوة الدافعـة للعقـل ومفتـاح فهـم غـوامض مسـألة الألوهيـة All Divine Obscurities، والماسـونية تسـعى إلـى توحيـد جميـع الـديانات فـي ديـن عالمي واحد"[١].

1) Morals And Dogma of The Ancient And Accepted Scottish Rite of Freemasonry, P311, 729.



قصة الخلق القبالية في رسائل إخوان الصفا

وخلق العالم والكون والمخلوقات عند إخوان الصفا، ليس بالأمر والإرادة الإلهية، بل بالفيض والصدور عن الإله، عبر وسائط، وبالتحول من مرتبة أو صورة في الوجود إلى أخرى، مع ما يلزم من التمويه عبر تطعيم ما يقولونه بآيات القرآن، وبالانتقال في أذهان من يعيدون تكوينهم في خلاياهم من الخلق إلى الفيض خطوة خطوة.

تقول الرسالة الأولى، وعنوانها: في العدد:

"واعلم يا أخي أن الباري، جل ثناؤه، أول شيء اخترعه وأبدعه من نور وحدانيته جوهر بسيط، يقال له العقل الفعال، كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار، ثم أنشأ النفس الكلية الفلكية من نور العقل، كما أنشأ الثلاثة بزيادة الواحد على الاثنين، ثم أنشأ الهيولى الأولى من حركة النفس، كما أنشأ الأربعة بزيادة الواحد على الثلاثة، ثم أنشأ سائر الخلائق من الهيولى ورتبها بتوسط العقل والنفس، كما أنشأ سائر العدد من الأربعة"[١].

وبعد أن كان الخلق في الرسالة الأولى، بأن الباري أنشأ، تحول في الرسالة العاشرة، وعنوانها: في إيساغوجي، إلى أنه أفاض، يقول فصل: في أن الأشياء كلها صور وأعيان، من الرسالة العاشرة:

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج١، ص٢٨-٢٩.

"فنقول إن الأشياء كلها بأجمعها صور وأعيان غيريات، أفاضها الباري تعالى على العقل الفعال الذي هو جوهر بسيط مدركٌ حقائق الأشياء، كما بينَّا في رسالة المبادئ العقلية، ومن العقل على النفس الكلية الفلكية التي هي نفس العالم بأسره، كما بينَّا في الرسالة التي فسرنا فيها معنى قول الحكماء إن الإنسان عالم صغير، وأن العالم إنسان كبير، ومن النفس الكلية فاضت على الهيولى الأولى التي بينَّا ماهيتها في رسالة الهيولى والصورة، ومن الهيولى على النفس الجزئية البشرية التي بينَّا كيفية نشوئها في رسالة لنا ترجمتها: الإنسان عالم صغير"(١).

وفي الرسالة الثانية والثلاثين، وعنوانها: في مبادئ الموجودات العقلية على رأي الفيثاغوريين، وصل إخوان الصفا بأعضاء الخلايا إلى الخطوة الأخيرة وغايتهم الحقيقية، فتحول الإنشاء والإفاضة، إلى فيض وصدور ذاتي تلقائي للموجودات من الإله دون أمر ولا إرادة:

"فإذا بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه، كما يفيض من عين الشمس النور والضياء، ودام ذلك الفيض منه متصلاً متواتراً غير منقطع، فيسمى أول ذلك الفيض العقل الفعال، وهو جوهر بسيط روحاني، نور محض، في غاية التمام والكمال والفضائل، وفيه صور جميع الأشياء، وفاض من العقل الفعال فيض آخر دونه في الرتبة يسمى العقل المنفعل، وهي النفس الكلية، وهي جوهرة روحانية بسيطة قابلة للصور والفضائل من العقل الفعال على الترتيب والنظام، وفاض من النفس أيضاً فيض آخر

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج١، ص٣١٦.

دونه في الرتبة يسمى الهيولى الأولى، وهي جوهرة بسيطة روحانية، قابلة من النفس من الصور والأشكال بالزمان شيئاً بعد شيء، فأول صورة قبلت الهيولى الطول والعرض والعمق، فكانت بذلك جسماً مطلقاً، وهو الهيولى الثانية، ووقف الفيض عند وجود الجسم ولم يفض منه جوهر آخر، لنقصان رتبته عن الجواهر الروحانية وغلظ جوهره وبعده عن العلة الأولى، ولما دام الفيض من الباري تعالى عن العقل، ومن العقل عن النفس، عطفت النفس على الجسم فصورت فيه الصور والأشكال والأصباغ"(١).

وفي الرسالة الرابعة والثلاثين، وعنوانها: في قول الحكماء إن العالم إنسان كبير:

" اعلم أن قول الحكماء إن العالم إنسان كبير، وقولهم إن الإنسان عالم صغير، معنى ذلك أن العالم له جسم ونفس، وأن حكم جسمه بجميع أجزائه البسيطة والمركبة والمولدة يجري مجرى جسم إنسان واحد أو حيوان واحد بجميع أعضاء بدنه المختلفة الصور المفننة الأشكال، وأن حكم نفسه بجميع قواها السارية في أجزاء جسمه، المحركة المدبرة لأجناس الموجودات وأنواعها وأشخاصها، كحكم نفس إنسان واحد أو حيوان واحد، السارية في جميع أعضاء بدنه ومفاصل جسده، المحركة المدبرة لعضو واحد وحاسة حاسة من بدنه، وذلك قول الله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (لقمان: ٢٨)، وإذا قلنا نحن في رسائلنا:

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص١٩٧-١٩٨.

الجسم الكلي، فإنما نعني به جسم العالم بأسره، وإذا قلنا: النفس الكلية، فإنما نعني به نفس العالم بأسره"[١].

والنفس الكلية التي هي نفس العالم بأسره، روح أو قوة روحية سارية في جميع الموجودات، وتصل بين نفوس الكون والمخلوقات والإنسان، وبينها جميعاً وبين الإله أو العقل الفعال، الذي فاض هو نفسه من ذات الإله، كما تخبرك الرسالة التاسعة والعشرون: في حكمة الموت والحياة، والرسالة الثانية والثلاثون: في مبادئ الموجودات العقلية على رأي الفيثاغوريين:

"فمن أجل هذا رُبطت النفس الكلية بالجسم الكلي المطلق الذي هو جملة العالم من أعلى فلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض، وهي سارية في جميع أفلاكه وأركانه ومولَّداته، ومدبرة لها ومحركة بإذن الله تعالى وتقدس ... واعلم أيها الأخ البار الرحيم، أيدك الله بروح منه، أن النفس الكلية إنما هي قوة روحانية فاضت من العقل، بإذن الباري، جل ثناؤه"[٢].

ويمكن للإنسان أن يتجاوز نقص جسده وغلظ جوهره، بترقية روحه وتطهير نفسه الجزئية بالمعرفة التي تمتزج فيها جميع الديانات والفلسفات، فتسمو حينئذ ويمكنها التوحد بالنفس الكلية والروح السارية في جميع الموجودات، والاقترابُ من الإله مصدر هذه الروح، ثم العودة إليه والاندماج

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص٢١١-٢١٢.

٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص٥٤، ١٩١.

فيـه، كمـا تخبـرك الرسـالة السـابعة والعشـرون، وعنوانهـا: فـي كيفيـة نشـوء الأنفس الجزئية في الأجساد البشرية الطبيعية:

"الأنفس الجزئية تعلو إلى اشتياق الأمور الخالدة همَّتُها، ويشتد على البلوغ إلى أقصى مد غاياتها عزماتُها من الترقي في المراتب العالية، بالنظر في العلوم الإلهية، والسلوك في المذاهب الروحانية الربانية، والتعبد في الأمور الشريفة من الحكمة على المذهب البقراطي، والتصوف والتزهد والترهب على المنهج المسيحي، والتعلق بالدين الحنيفي، وهو التشبه بجوهرها الكلي، ولحوقُها بعالمها العلوي، والتوصلُ إلى علتها الأولى، والاعتصامُ بحبل عصمته، وابتغاءُ مرضاته، وطلبُ الزلفى لديه بالاتحاد بأبناء جنسها في عالمها الروحاني ومحلّها النوراني في دارها الحيواني"[1].

ولأن الإنسان عالم صغير، والعالمَ إنسان كبير، وصدرا معاً عن الإله، والنفسَ الكلية أو الروح تسري بينهما وتوحدهما، فكل عضو بعد أن تشكل جسم الإنسان في صورته المادية يقابل فلكاً أو برجاً في جسم العالم الكبير، كما يخبرك فصل: اعتبار أحوال الإنسان بأحوال الفلك، من الرسالة السادسة والعشرين، وعنوانها: في قول الحكماء إن الإنسان عالم صغير:

"أما مماثلة تركيب جسد الإنسان بتركيب الأفلاك، وذلك أنه لما كانت الأفلاك تسعَ طبقات مركبة بعضها جوف بعض، كما بينا في الرسالة التي

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص٢٨.

في مدخل النجوم، كذلك وُجد في تركيب جسد الإنسان تسع جواهر بعضها جوف بعض، ملتفّات عليها مماثلة لها، وهي العظام واللحم والمخ والعروق والدم والعصب والجلد والشعر والظفر ... ولما كان الفلك مقسوماً اثني عشر برجاً، وُجد في بنية الجسد اثنا عشر ثقباً مماثلاً له، وهي العينان، والأذنان، والمنخران، والثديان، والفم، والسرة، والسبيلان، ولما كانت الأبراج ستة منها جنوبية، وستة منها شمالية، كذلك وجدت ستة ثقوب في الجسد في الجانب اليمين، وستة في الجانب الشمال مماثلة لها بالكمية والكيفية جميعاً، ولما كان في الفلك سبعة كواكب سيارة تجري بها أحكام الفلك والكائنات، كذلك وجد سبع قوى في الجسد فعالة، بها يكون صلاح الجسد، هي القوى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمصورة، وسبع قوى أخرى روحانية، وهي القوة الحساسة، أعني الباصرة، والسامعة، والذائقة، والشامة، واللامسة، والقوة الناطقة، والقوة العاقلة، والقوة الحساسة مناسبة للخمسة المتحيرة، والقوة الناطقة مناسبة للقمر، والقوة العاقلة مناسبة للشمس"(١).

ورسائل إخوان الصفا، ومعتقداتها وتعاليمها التي رأيتها، ليست إلا قبالاه معربة ومقَنَّعة، ولأنهم يسربونها في أذهان أعضائهم ومن يقرؤون الرسائل مموهة في آيات القرآن، ومغلفة في ألفاظ عقيدة الخلق، فتمام عملهم والوجه المكمل له، تأويلهم لآيات القرآن وصرفها عن معانيها اللغوية إلى معانٍ باطنية تتفق مع عقيدتهم القبالية في تفسير الوجود وتحملها إلى نفوس

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص٩-١٠.

الأعضاء والقارئين، مغلفة في أن ظاهر آيات القرآن هو كتاب العامة، وأن رسائلهم وما فيها من تأويلات هو كتاب الأئمة والخاصة.

والرسالة السابعة والأربعون، وعنوانها: في ماهية الناموس الإلهي وشرائط النبوة وكمية خصالهم ومذاهب الربانيين والإلهيين، تقول لأعضاء إخوان الصفا ولقارئيها:

"واعلم أن للكتب الإلهية تنزيلاتٍ ظاهرةً، وهي الألفاظ المقروءة المسموعة، ولها تأويلات خفية باطنة، وهي المعاني المفهومة المعقولة، وهكذا لواضعي الشريعة موضوعات عليها وضعوا الشريعة، ولها أحكام ظاهرة جلية، وأسرار باطنة خفية، وفي استعمال أحكامها الظاهرة صلاح للمستعملين في دنياهم، وفي معرفتهم أسرارها الخفية صلاح لهم في أمر معادهم وآخرتهم، فمن وُفق لفهم معاني الكتب الإلهية، وأرشد إلى معرفة أسرار موضوعات الشريعة، واجتهد في العمل بالسنة الحسنة والسير بسيرته العادلة، فإن تلك النفوس هي التي إذا فارقت الجسد ارتفعت إلى رتبة الملائكة التي هي جنات لها، وهي ثماني مراتب، وفازت ونجت من الهيولى ذي الثلاث شعب التي هي الطول والعرض والعمق"[١].

وإخوان الصفا، كما ترى، أوَّلوا الآخرة والحساب لكي تتفق مع عقيدتهم في الخلق وظهور المخلوقات، فالجنة هي ارتقاء نفس الإنسان وعودتها إلى المرتبة الأولى في الوجود وعالم الروح العلوي بلا جسم ولا مادة واتصالها

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص١٩٠.

بالعلة الأولى، والجحيم هو بقاؤها في مرتبة الهيولي وعالم الأجسام والأبعاد المكانية.

وقد تقول: ولكن معتقدات إخوان الصفا وتعاليمهم شبيهة أيضاً بفلسفة الإغريق، وتصورهم للإله والخلق والوجود؟

ونقول لك: إذا رجعت إلى كتابنا: شفرة سورة الإسراء، فستعلم أن قصة الخلق الإغريقية ليست سوى طبعة محورة من قصة الخلق البني إسرائيلية في سفر التكوين، وفلسفة الإغريق هي نفسها القبالاه، وأن قصة الخلق هي خريطة الوجود، ومكوناتها والعلاقة بينهم هي التي تصنع وعي البشر وبناءهم الذهني وتحكمه وتتحكم في كل ما يتكون فيه وينتجه، وأن تحريف قصة الخلق وخريطة الوجود الإلهية وتحوير هذا التحريف في كل أمة بما يناسبها وتسريبه في معتقداتها، هو عمل بني إسرائيل الرئيسي في التاريخ، وهو إفسادهم في الأرض كلها، وإطاحة هذا التحريف بخريطة الوجود الإلهية وإعادة تكوين العالم به هو علوهم في الأرض الكبير[١].

وكما أن ملحمة هزيود والفلسفة هي الطبعة الإغريقية من العقيدة القبالية، فرسائل إخوان الصفا ونظائرها في الشرق هي الطبعة المعربة من القبالاه، والمسألة المشتركة الحقيقية والجوهرية بينها جميعاً، ليس النموذج والتفاصيل التي فيها عن الخلق وشكل الوجود وصلة الإله بالموجودات، بل أنها تجعل

---

١) دكتور بهاء الأمير: شفرة سورة الإسراء، دار مدبولي للنشر، طبعة جديدة، القاهرة، ٢٠٢٣م.

الإنسان وعقله وأفكاره وتأملاته مصدر مسألة الألوهية وفهم موقع الإله من الوجود وعلاقته بالموجودات.

فالفحوى الحقيقية لرسائل إخوان الصفا والفلسفة الإغريقية والقبالاه، وللهندوسية والزرادشتية، ولجميع العقائد الباطنية، هي الإطاحة بعقيدة الإله واجب الوجود، وبما يترتب عليها من عقيدة الخلق بالإرادة والأمر الإلهي، وعقيدة الوحي مصدراً للمعرفة وميزاناً للقيم والأخلاق والعلاقات، وكذلك تحويل مسألة الألوهية إلى أفكار هائمة لا ضابط لها، ولا مصدر لها سوى ما يُنتجه داخلُ الإنسان، أيِ إنسان، بأهوائه وضلالاته، وبما ألفه واعتاد عليه، ودون براهين ولا أدلة من خارجه.

ومسألة الألوهية، وكيف خلق الإله الإنسان والكون، وعلاقته بالإنسان والطبيعة والوجود كله، وكيف يعرفه الإنسان، مصدرها الحق بيان الإله وليس تأملات الإنسان، وببرهان يُثبت مصدره، وأن هذا البيان من عند الإله.

والآن إليك ما يقابل عقيدة إخوان الصفا من القبالاه الصريحة، بعد أن فرت من الشرق وعوائقه، وانتقلت إلى الغرب، فخلعت غلافها وصارت مكشوفة سافرة.

الخلق كما رأيت في رسائل إخوان الصفا، كان بفيض الكون والمخلوقات أو انبثاقها من الإله، وليس بالأمر والإرادة الإلهية، فالكون والمخلوقات والوجود كله كان في صورة روحية غير مادية، ومتوحداً بالإله أو في داخله،

لأنه هكذا في القبالاه، فالإله في القبالاه، كما يخبرك القبالي والماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، مانلي هول Manly Hall، في كتابه: التعاليم السرية عبر العصور The Secret Teachings Of All Ages:

"مطلق، بلا جوهر ولا مادة، ولا وصف له لأن الوصف يدنسه، والمادة والكون والإنسان كلها في داخله بلا صورة ولا هيئة، وتمثله دائرة هي رمز الخلود، فهذه البيضة الكونية Cosmic Egg تحوي الوجود كله فيها، والخلق والفناء يحدث في داخلها ولا شئ خارجها"(١)

والخلق عند إخوان الصفا، كان عبر أربعة مستويات من الخلق وأربع مراتب من الوجود، فمن الإله فاض العقل الفعال، الذي هو جوهر بسيط، ومن العقل الفعال انبثقت النفس الكلية، وهي روح سارية من الإله في العالم كله، الذي هو جسم واحد متصل، ومن النفس الكلية فاضت الهيولي الأولى، وفيها تشكلت صور أجسام جميع الأجرام والمخلوقات منفصلة، دون أن توجد فعلاً في الصورة المادية، ومن الهيولي الأولى انبثق الكون المنظور بأجرامه المادية والمخلوقات والإنسان بأجسامها وأشكالها المرئية.

وهي نفسها عقيدة الخلق، وكيف كان، ومراتب الخلق ومستويات الوجود، في القبالاه.

---

1) Manly Hall: The Secret Teachings Of All Ages, P117, Printed For Manly Hall By H.S. Crocker Company, Incorporated، San Francisco, 1928.

فأما أن الخلق بالفيض والصدور، وليس بالإرادة الإلهية، فالذات الإلهية الخالقة للموجودات تمثل في القبالاه في هيئة شجرة الحياة، أو سيفروت Sefirot، وهي تتكون من عشر فيوضات أو بلورات وكرات نورانية مرتبة في ثلاثة أعمدة متوازية، ويصل بينها اثنتان وعشرون قناة.

وكل فيض أو بلورة في شجرة الحياة ترمز لتجلٍ أو صفة في الإله، فهاك كل بلورة وما ترمز له من الذات الإلهية، من الزوهار זֹהַר، أو سفر الإشراق والضياء في القبالاه:

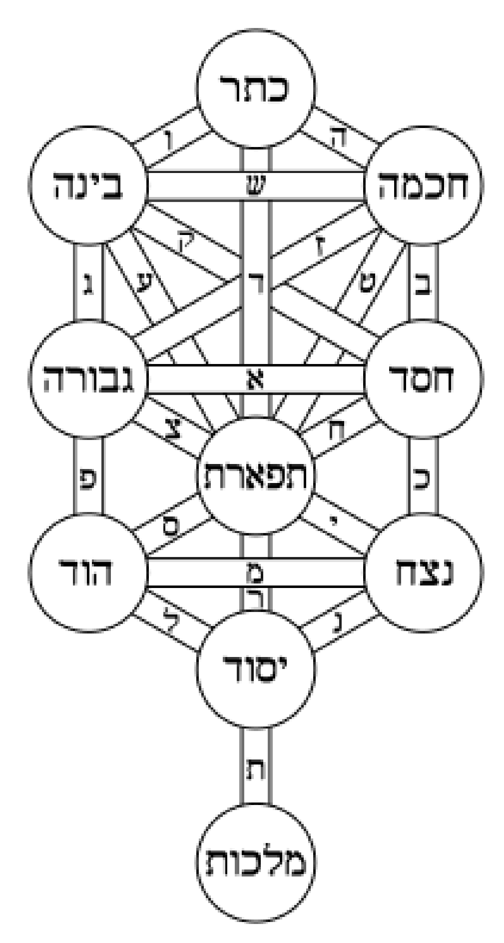
"الأولى: كِتير/التاج כֶּתֶר، وهي رمز الإرادة الإلهية، والثانية: خوخمة/الحكمة חָכְמָה، والثالثة: بيناه/الفهم בינה، والرابعة: خيسيد/الرحمة חֶסֶד، والخامسة: جيفوراه/القوة גבורה، والسادسة: تيفيريت/الجمال والانسجام תִּפְאֶרֶת، والسابعة: نتزاه/النصر נצח، والثامنة: هود/المجد הוד، والتاسعة: يسود/التأسيس יְסוֹד، والعاشرة: ملخوت/الملكوت מלכות "[١].

والخلق في القبالاه كان بانبثاق الكون والإنسان والموجودات كلها عن الذات الإلهية، وصدورها من شجرة الحياة التي تمثلها، والإنسان والكون والموجودات كلها، قبل الفيض وظهورها في العالم المدرك المنظور، كانت داخل الذات وعلى صورة التجليات في شجرة الحياة الإلهية، فالإله في القبالاه حل في كل شئ، ويوجد فيه كل شئ، وهو نفسه كل شئ.

---

1) The Sepher Ha-Zohar، Or The Book Of Light, P10، Nurho De Manhar, Theosophical Publishing Company, New York, 1900.

وشجرة الحياة القبالية هذه وبلوراتها وتجلياتها ليست سوى ابتكارات على الأصل في خريطة الوجود البني إسرائيلية، في سفر التكوين، وهي شجرة الحياة التي خاف الآلهة أن يأكل الإنسان منها فيصير خالداً مثلهم.



السفيروت، شجرة الحياة القبالية

وأما مراتب فيض الكون والمخلوقات ومستويات وجودها الأربعة في رسائل إخوان الصفا، فهي نفسها في القبالاه، من الروح الجوهر البسيط للوجود كله بلا صورة ولا تشكل، مروراً بصورة الكون والمخلوقات دون تشكل

مادي ولا تجسم، وصولاً إلى أجرامها وأجسامها المادية في العالم المنظور، مع انبثاق كل مستوى من الذي فوقه.

وفي القبالاه أن السفيروت أو شجرة الحياة סְפִירוֹת/Sephiroth، التي تمثل بلوراتها العشرة الذات الإلهية، تناظر كل واحدة منها عضواً في الإنسان، وأحد الأفلاك في الكون، وملكاً من الملائكة، وتقع السفيروت في أربعة عوالم متوازية، أو أربع مراتب من الوجود، وكل عالم أو مستوى من الوجود توجد فيه سفيروت، وكل سفيروت في عالم أو مستوى لها مواصفات خاصة، وطبيعة مختلفة للكون والمخلوقات فيها، وللصلة بين الكون والمخلوقات وبين الإله، والسفيروت الأربعة في كل عالم أو مستوى من الوجود، تتواصل معاً عبر القنوات الواصلة بين بلوراتها، وكل عالم منها تفيض منه العوالم التي تليه، فالعالم الأول ينتج العالم الثاني والثالث والرابع، والثاني ينتج الثالث والرابع، والثالث ينتج الرابع.

فإليك القبالي والأستاذ الأعظم لحركة الروزيكروشان في القرن التاسع عشر، آرثر إدوارد ويت Arthur Edward Waite، يخبرك بعوالم الوجود ومستوياته الأربعة، في القبالاه، في كتابه: القبالاه المقدسة، دراسة في تعاليم بني إسرائيل السرية The Holy Kabbalah, A Study of The Secret Tradition In Israel

"العالم الأول: أتزيلوت أو عالم الفيض אֲצִילוּת/Atziluth، وفيه يوجد الكون والمخلوقات في صورة نورانية داخل الإله وفي توحد به، وهذا العالم تفيض منه العوالم الثلاثة الأخرى، والعالم الثاني: برياه أو عالم الخلق בְּרִיאָה /Beri'ah، وفيه تتحول الموجودات إلى روح واعية بنفسها

وتكوينهـا دون أن تتشكل مادياً، والعـالم الثالـث: يتزيـراه أو عـالم التشـكل יְצִירָה/Yetzirah، وفيه تتخذ الموجودات صورها الماديـة دون أن تنفصل عن الذات الإلهية، والعالم الرابـع: أسياه أو عـالم المـادة עֲשִׂיָּה/Asiyah، وهـو عـالم الفعل والحركـة والكـون الفيزيـائي المنظـور بأجرامـه ومخلوقاتـه على صورتها المعروفة، وهي صورة للإلـه أو مرآة لـه، دون أن يوجد هو بذاته في هذا العالم المنظور"(١).

وكما ترى الفرق الوحيد بين مستويات الوجود ومراتب الخلق وكيف كان وظهـرت الأجـرام والمخلوقـات، فـي رسـائل إخـوان الصـفا وفـي القبـالاه، أن إحـداهما بالعربيـة، والأخـرى ترجمتهـا بالعبريـة، أو العكـس، والبنـاء الـذهني والنفسي الذي أنتج هذه هو نفسه الذي أنتج تلك.

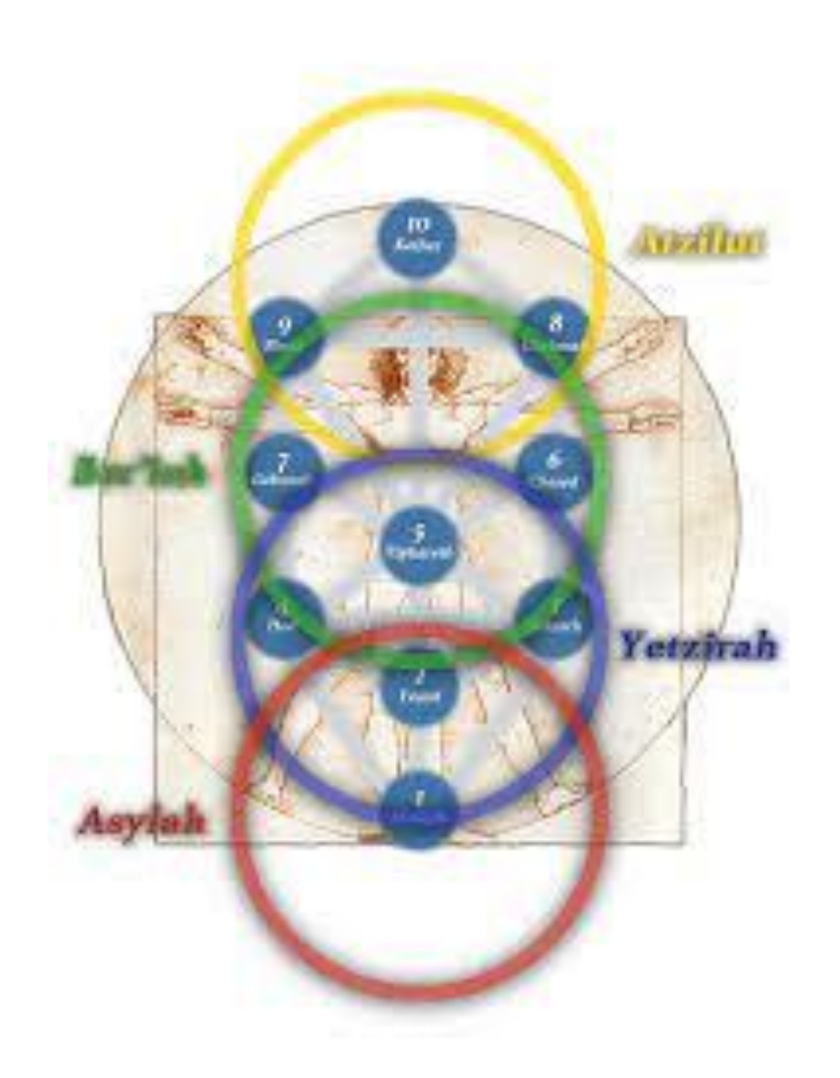
والأجسام والأجرام الماديـة، فـي الكـون المـادي المنظـور، رتبتهـا الروحيـة ناقصة وجوهرها غليظ، عند إخوان الصفا، لبعدها عن العلـة الأولـى، أو لبعد المستوى الرابـع مـن الوجـود الـذي هـي فيـه عـن المسـتوى الأول القريـب مـن الإلـه وفـاض منـه مباشـرة، وانحسـار آثـار الـنفس الكليـة أو الـروح فـي هـذا المستوى.

وفـي القبـالاه، أن حضـور الإلـه يقل، وتقل معـه رتبـة الوجـود، مـع انتقـال الفيض من كل عـالم أو مسـتوى في الوجود إلـى الذي يليـه، ومـع كل خطـوة للتحـول مـن الصـورة الروحيـة النورانيـة إلـى الصـورة الماديـة، إلـى أن يختفـي

---

1) Arthur Edward Waite: The Holy Kabbalah, A Study of The Secret Tradition in Israel، P197, Williams And Norgate, London, 1929.

الإله من المستوى الرابع ويحل محله الكون المادي المنظور وأقل مستويات الوجود روحانية ونورانية.



مستويات الوجود وعوالم القبالاه الأربعة

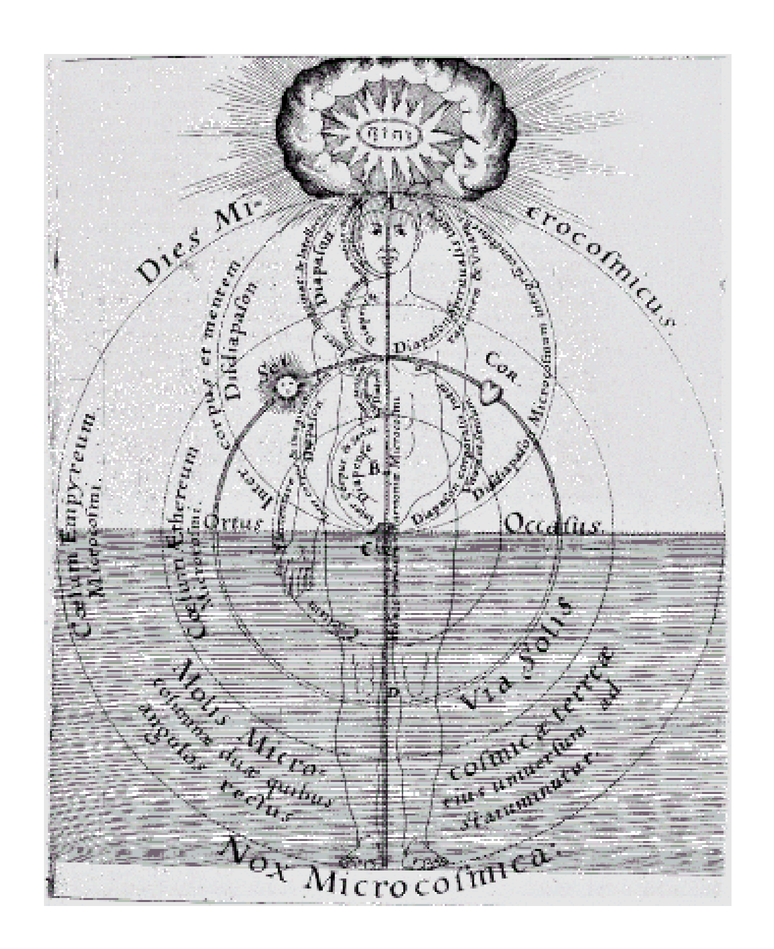
وتركيب جسد الإنسان، عند إخوان الصفا، يماثل تركيب الأفلاك، ويقابل الأبراج الاثني عشر، والقوة العاقلة أو العقل تقابل الشمس، لأن آدم قدمون

أو آدم القديم Adam Kadmon، وهو الإنسان حين كان داخل الذات الإلهية، كان على صورة الإله ومتوحداً به، قبل أن ينبثق عنه ويتشكل ويظهر في العالم المنظور، وكذا الكون ونجومه وكواكبه وأبراجه، ومن ثم فبلورات السفيروت أو شجرة الحياة التي تمثل الذات الإلهية في القبالاه، تناظر كل واحدة منها عضواً في الإنسان، وأحد الأفلاك في الكون، وصفة التاج في الذات الإلهية يقابلها الرأس في الإنسان، والشمس في الكون المنظور.

ولذا يصور الإنسان الأول أو آدم القديم، في القبالاه، مرسوماً على شجرة الحياة والتجليات الإلهية، وكل عضو فيه يناظر صفة أو تجلياً من تجليات الذات، ويقع في داخل البلورة النورانية التي انبثق منها، وفي الوقت نفسه يناظر جزءًا من الكون وملكاً من الملائكة وجنياً أو شيطاناً من الشياطين.

فالإنسان في القبالاه هو الكون الصغير أو الميكروكوزم Microcosm، والسموات وأفلاكها وأجرامها هي الكون الكبير أو الماكروكوزم Macrocosm، أو بعبارة إخوان الصفا:

"العالم إنسان كبير، والإنسان عالم صغير".



الماكروكوزم والميكروكوزم، العالم إنسان كبير والإنسان عالم صغير

فهاك أعضاء الإنسان في القبالاه، وما يقابلها من التجليات الإلهية في شجرة الحياة، ومن النجوم والكواكب، من الزوهار أو سفر الإشراق والضياء في القبالاه، ومن كتاب: القبالاه سافرة The kabbalaha Unveiled، للقبالي الإنجليزي والماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ماكجريجور ميثرز MacGregor Mathers:

"كتير أو بلورة التاج في الذات الإلهية تحتوي الرأس في الإنسان ومنها انبثقت، ويقابلها المحرك الأول Primum Mobile في الكون أو الشمس،

وخوخمة أو بلورة الحكمة يقابلها الرئتان والأبراج الاثنا عشر، وبيناه أو بلورة الفهم يقابلها المرارة وكوكب زحل، وخيسيد أو بلورة الرحمة والعطف يقابلها المعدة وكوكب المشتري، وجيفوراه أو بلورة الحكم والشدة يقابلها الكبد وكوكب عطارد، وتيفيريت أو بلورة الانسجام يقابلها القلب ونجم الدب القطبي، ونتزاه أو بلورة النصر يقابلها الطحال وكوكب الزهرة، وهود أو بلورة المجد يقابلها الكُلى وكوكب المريخ، ويسود أو بلورة التأسيس يقابلها أعضاء التناسل والقمر، وملخوت أو بلورة الملكوت يقابلها الأقدام والمقعدة والعناصر الأربعة"[1]،[2].

1) The Sepher Ha-Zohar، Or The Book Of Light، P27, Nurho De Manhar, Theosophical Publishing Company, New York, 1900

2) Macgregor Mathers: The Kabbalaha Unveiled، P30, Translated Into English From The Latin Version Of Knorr Von Rosenroth And Collated With The Original Chalde And Hebrew Text, George Redway Publishing, London, 1887.



الصفات الإلهية وما يقابلها من أعضاء جسم الإنسان ومن أجرام الكون

ورسائل إخوان الصفا، تشَبِّه فيضَ الوجود من الإله واجب الحكمة والروحَ التي انبثقت منه وتسري في الموجودات بفيض النور والضياء تلقائياً وذاتياً من عين الشمس، وقد أخبرناك في بداية الكتاب الذي بين يديك، أن أسرة دي مديتشي كانت إحدى المعابر التي عبرت عليها القبالاه والحركات السرية من الشرق إلى الغرب، فإليك صورة طبق الأصل من تشبيه رسائل

إخـوان الصـفا عنـد القبـالي مارسـيليو فتشـينو Marsilio Ficino، مؤسـس أكاديمية أسرة دي مديتشي، وأداتها فـي بث القبالاه، وهو الرجل الذي تكون جميع أعلام عصر النهضة الغربي في أكاديميته وبكتبه وأفكاره.

يقول فتشينو:

"وقوة الضوء لا حد لها، فهي تصل الموجودات السماوية، بسهولة وفـي لحظـة واحـدة، بـالموجودات الأرضـية شديدة البعد عنهـا، والضـوء لا ينقل فقط قوى النجوم إلـى الأشـياء التاليـة، بل ويجلـب أيضـاً الشـمس والنجـوم نفسـها إلـى الموجـودات السـفلى، فالضـوء هـو رابـط الكـون Vinculum Universi، وكما أن الضوء ينزل من الشـمس إلـى النـار دون أن يغادرها، كذلك الـروح يرسـلها الإلـه إلـى المـادة فتخترقهـا وتمـلأ الموجـودات العاقلـة دون أن تغادر الإله، فالروح مرآة الإله، كما أن الضوء مرآة الشمس"[١].

وما أخبرتك بـه رسائل إخوان الصفا، من أن نفس الإنسان الجزئيـة تعلو وتترقـى إلـى المراتـب العاليـة، بالتأمـل فـي العلـوم الإلهيـة، وسلوك المـذاهب الروحانيـة، والتعبـد علـى مـذهب أبقـراط الـوثني الإغريقـي، والزهـد والترهـب بـالمنهج المسـيحي، والتعلـق بالـدين الحنيفـي، إلـى أن تلحـق بالعـالم العلـوي وتتصـل إلـى الإلـه علتها الأولـى، وتتحـد بأبنـاء جنسـها فـي عالمهـا الروحـاني ومحلّهـا النـوراني، مـا أخبرتـك بـه رسـائل إخـوان الصـفا هـو الـديفيقوت فـي القبالاه، وتفسيره فيها.

---

1) Oskar Kristeller: The Philosophpy of Marsilio Ficino, P116, Columbia University Press, 1943.

فلأن الإنسان كان متوحداً مع الكون كله داخل الإله، ثم انبثق من الإله أو صدر عنه، فالإله ونفس الإنسان وجوهر الكون شئ واحد أو نفس واحدة، وبينهم ممرات وقنوات تصل بينهم وتسبح هي حرة فيها، وقد تكون خاملة ويمكن تنشيطها، ويمكن للإنسان أن يشحذ طاقته النفسية والذهنية بالزهد والتأمل الروحي، وهو كافاناه כַּוָּנָה/Kavanah، فترتقي الروح רוח/Ruach، إلى أن تصل إلى مرتبة من التطهر والسمو تتحرر بها من قيود الجسد المادي الفيزيائي، وتعود إلى الاتصال والتواصل مع الإله والاتصال بالكون.

وإذا وصل الإنسان إلى هذه الحالة السماوية السامية التي كان عليها قبل أن يخرج من الإله وينفصل عن الكون، حل فيه الإله أو عاد هو إلى التوحد بالإله، وإلى الامتزاج بالكون، وهذه الحالة السرمدية العليا هي الدفيقوت דבקות/Devekut في القبالاه.

عقيدة التطور البيولوجي عند إخوان الصفا

عقيدة التطور البيولوجي، كما تعلم الآن، هي بديل عقيدة الخلق الإلهي، وعند نفي الوجود الإلهي، وتحديداً عند نفي عقيدة واجب الوجود والخلق الإلهي، تتحتم عقيدة التطور وخروج الكائنات من بعضها، وخروجها جميعاً من أصل واحد، لتفسير وجودها وكيف ظهرت دون حاجة للإله والأمر والإرادة الإلهية، كما أن اعتناق عقيدة التطور يفضي تلقائياً إلى نفي الوجود الإلهي وعقيدة الخلق، ويضع خروجها من أصل واحد والزمان محلها فاعلاً رئيسياً في ظهور المخلوقات.

وعقيدة التطور عند تنظيم إخوان الصفا وفي رسائلهم، تحوي جميع أركان نظرية التطور البيولوجي وعناصرها، كما ظهرت بعد أن طورها القباليون ورجال الحركات السرية في الغرب وظهرت مكتملة عند تشارلز دارون والدارونيين، غير أن إخوان الصفا يسربونها في عقول أعضائهم ومن يقرؤون رسائلهم ضمنية ومموهة في آيات القرآن، ومخبأة داخل مسألة تصنيف الأنواع وترتيب المخلوقات، ومفرقة داخل الرسائل وليست مجموعة في موضع واحد، ولا يمكن إدراكها إلا بربطها بعقيدتهم القبالية في الخلق، ورؤيتها داخلها وفي ضوء طبيعة الذات الإلهية وعلاقتها بالمخلوقات وكيف انبثقت أو فاضت منه.

فإليك الخطوة الأولى نحو تسريب عقيدة التطور البيولوجي في أعضاء إخوان الصفا ومن تخاطبهم الرسائل، في فصل: رسالة النبات، من الرسالة الحادية والعشرين:

"اعلم أيها الأخ البار الرحيم، أيدك الله وإيانا بروحٍ منه، أنه لما فرغنا من ذكر الجواهر المعدنية، وبينَّا طرفاً من كيفية تكوينها، وكمية أجناسها، وفنون أنواعها، وخواص منافعها ومضارها في رسالة لنا، وبينا فيها أن آخر مرتبة الجواهر المعدنية متصلة بأول مرتبة الجواهر النباتية، فنريد أن نتبعها برسالة النبات ونبين فيها أيضاً طرفاً من كيفية سريان القوى الثابتة فيها، والغرض منها تعليل أجناس النبات وكيفية تكوينها ونشوئها، وأسباب اختلاف أنواعها من الأشكال والألوان والطعوم والروائح، وأوراقها وأزهارها وحبوبها وبذورها ونموها، وعروقها وقضبانها وأصولها من المنافع، فإن أول مرتبة النبات متصلة بأول مرتبة الحيوانية، وآخر مرتبة الحيوانية متصلة بأول مرتبة الإنسانية، وآخر مرتبة الإنسانية متصلة بأول مرتبة الملائكة الذين هم سكان السموات وقاطنو الأفلاك"(١).

رسالة النبات، كما ترى، في بيان ترتيب الوجود، من الأدنى إلى الأرقى، من الجواهر المعدنية الجامدة، إلى النبات، إلى الحيوان، إلى الإنسان، إلى الملائكة، فغلاف الفصل الظاهر أنه في تصنيف الأنواع أو ترتيب المخلوقات، ولكن داخل هذا الغلاف ستجد أن الرسالة وصلت كل مرتبة بالتي تليها وجعلت آخر إحداهما أولاً للأخرى، وهو ما يعني ضمناً أن أفراد

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٢، ص١٢٨.

كل مرتبة متصلون هم أيضاً، وأن كل نوع في مرتبة متصل بسابقه ولاحقه، فكأن الوجود والمخلوقات كلها حلقات متصلة في سلسلة واحدة، أو درجات في سلم واحد، وكل درجة تصعد للتي فوقها، وليست أنواعاً منفصلة ومستقلة عن بعضها.

فغرض الرسالة الحقيقي ليس مجرد ترتيب المخلوقات، بل جعل هذا الترتيب وسيلة لتسريب عقيدة اتصال المخلوقات وخروجها من بعضها.

ثم هاك الخطوة الثانية، في فصل: في أن النبات متقدم الكون والوجود، من الرسالة الثانية والعشرين، رسالة: كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها:

"ثم اعلم يا أخي بأن النبات متقدم الكون والوجود على الحيوان بالزمان، لأنه مادة لها كلها، وهيولى لصورها، وغذاءٌ لأجسادها، وهو كالوالدة للحيوان، أعني النبات، وذلك أنه يمتص رطوبات الماء ولطائف أجزاء الأرض بعروقه إلى أصوله، ثم يحيُلها إلى ذاته، ويجعل من فضائل تلك المواد ورقاً وثماراً وحبوباً نضيجاً، ويتناول الحيوان غذاءً صافياً هنيئاً مريئاً"[1].

فهنا، كما ترى، لم تعد المسألة ترتيب المخلوقات، ولا حتى اتصال أفراد كل مرتبة، واتصال آخر كل مرتبة بأول التي تليها، فالرسالة تخبرك أن النبات متقدم الوجود زماناً على الحيوانات، ليس فقط لأنه غذاء لأجسامها،

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٢، ص١٥٤.

بل وقبل ذلك لأن النبات هيولي لصور الحيوان، أي أن الحيوانات قبل أن تتشكل أجسامها المادية في المرحلة الأخيرة من الفيض، كان جوهرها وصورتها موجودين داخل النبات في مرحلة الهيولي، أو بعبارة أبسط وأوضح، الحيوانات تشكلت أجسامها وخرجت من صورتها التي كانت كامنة في النبات، وكذلك علاقة الإنسان بالنبات، وعلاقة النبات نفسه بالتراب والجوامد، فجميعها كانت صوراً يحتويها أصل واحد، ومنه خرجت.

والهيولي تعريب لكلمة هِيّو الإغريقية Yλo، والمعاجم العربية تضبطها بفتح الهاء وضم الياء مخففة ومشددة، ومعناها مادة أولية ليس لها جسم ولا شكل ولا صورة وتقبل التشكيل، فإذا تشكلت أنتجت صور الأشياء وأجسامها.

يقول الشريف زين الدين علي بن محمد بن علي الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م، في كتابه: التعريفات، وهو معجم في تعريف مصطلحات العلوم والفلسفة والنحو وعلم الكلام المستخدمة حتى القرن الثامن الهجري:

"الهيولي: لفظ يوناني، بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، محل للصورتين الجسمية والنوعية"[١].

ويقول المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة:

---

١) الشريف علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني: التعريفات، ص١١٣، المطبعة الخيرية، بجمالية مصر المحمية، ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م.

"الهيولى، بضم الياء مخففة أو مشددة: مادة الشيء التي يصنع منها، كالخشب للكرسي، والحديد للمسمار، والقطن للملابس القطنية، وعند القدماء مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور ... والمادة كلها معربة"[1].

وهاك الرسالة الخامسة عشرة، وعنوانها: في بيان الهيولي والصورة والحركة والزمان والمكان، تعرفك بالهيولي عند إخوان الصفا:

"ثم اعلم أن الأجسام كلّها جنس واحد من جوهر واحد وهيولى واحدة، وإنما اختلافها بحسب اختلاف صورِها، ومن أجلها صار بعضها أصفى من بعض وأشرف ... وذلك أن الياقوت أصفى من البِلَّور وأشرف منه، وأن البِلّور أصفى من الزجاج وأشرف منه، والزجاج أصفى من الخزف وأشرف منه، وكذلك الذَّهب أشرف من الفضة وأصفى منها، والفضُة أصفى من النحاس وأشرف منه، والنحاس أصفى من الحديد وأشرف منه، وكلها أحجار معدنية أصُلها كلها الزئبق والكِبريت، والزئبق والكِبريت أصُلهما التراب والماء والهواء والنار، فهيولاها واحد، وصورها مختلفة، وكذلك حكم الحيوان والنبات، فإنهما بالهيولى واحد، وإن اختلافها وشرف بعضِها على بعض بحسبِ اختلاف صورِها"[2].

---

1) مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث: المعجم الوسيط، ص١٠٠٤، الطبعة الرابعة، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

2) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٢، ص٦.

فالنبات والحيوان والإنسان، وهو أرقى الحيوانات، كما تصفه الرسائل، جميعها خرجت من هيولي أو أصل واحد، كما خرجت المعادن كلها من هيولي وأصل واحد، وثمة هيولي سابق على هذا وذاك يجمعهما معاً، وهو أصل جميع الموجودات، جماداً ونباتاً وحيواناً.

ومعتقدات إخوان الصفا، كما ترى، ومثل جميع تعاليم الحركات السرية، كالفسيفساء، ولا يمكنك فهمها وإدراك غرضها الحقيقي وما تسربه في نفوس من تصنعهم وتخاطبهم برسائلها، إلا بجمع أجزائها المفرقة معاً، وعقيدة إخوان الصفا ورسائلهم هي نفسها الداروينية ونظرية التطور البيولوجية، وهذه وتلك نظرية عقائدية وليست نظرية علمية، والمعين الذهني والنفسي الذي أنتجهما واحد، والفرق بينهما هو أن عقيدة التطور عند إخوان الصفا ضمنية ومموهة في آيات القرآن والعبارات الإسلامية، وعقيدة التطور الداروينية صريحة ومزخرفة بالشواهد والمصطلحات العلمية.

ثم ها هي الخطوة الثالثة والركن المحوري في عقيدة التطور والأصل الواحد للمخلوقات، في الرسالة الخامسة والعشرين، رسالة: مسقط النطفة:

"واعلم يا أخي بأن الكائنات التي تحت فلك القمر تبتدىء من أنقص الحالات وأدونها مترقية إلى أتمها وأفضلها، ويكون ذلك في مر الزمان

والأوقات، لأن طبيعتها لا تقبل فيض أشخاص فلكية دفعة واحدة، ولكن شيئاً بعد شيء على التدريج"[١].

وفي فصل في أن النبات متقدم الكون والوجود، من الرسالة الثانية والعشرين، رسالة: كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها، أنه:

"**ثم اعلم بأن الحيوانات الناقصة الخلقة متقدمة الوجود على التامة الخلقة بالزمان في بدء الخلق، وذلك أنها تتكون في زمان قصير، والتي هي تامة الخلقة تتكون في زمان طويل لأسباب وعلل يطول شرحها"[٢].**

والركن المحوري في عقيدة التطور البيولوجية، كما ترى في رسائل إخوان الصفا، هو انتقال الكائنات ذاتياً وبالتدريج من طور إلى طور، وإدخال الزمان فاعلاً في هذا الانتقال وظهور المخلوقات محل الخلق والإرادة الإلهية، لإزاحتها والاستغناء عنها في التفسير.

وهذه هي آخر مرتبة الجمادات وأول مرتبة النبات، وحلقة الوصل بينهما، في فصل: نظام الوجود والبقاء، من الرسالة الرابعة والثلاثين، وعنوانها: في معنى قول الحكماء إن الإنسان عالم صغير:

"**وأما النبات، فأقول إن هذا الجنس من الكائنات متصل أوله بالمعدن كما بينَّا في رسالة المعادن، وآخره بالحيوان أيضاً، بيان ذلك أن أول مرتبة**

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٢، ص٣٦١-٣٦٢.

٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٢، ص١٥٤.

النباتية وأدونها مما يلي التراب، وهو خضراء الدمن، ليس بشيء سوى غبار يتلبد على الأرض والصخور والأحجار، ثم يصيبه بلل الأمطار وندى الليل، فتصبح بالغدوات خضراء كأنها نبت زرع وحشائش، فإذا أصابها حر الشمس نصف النهار رجعت، ثم تصبح من غد مثل ذلك من نداوة الليل وطيب النسيم، ولا تنبت الكمأة ولا خضراء الدمن إلا في أيام الربيع في البقاع المتجاورة لتقارب ما بينهما، لأن هذا معدِنه نباتي، وذلك نبات معدِني"(١).

وهاك كيف تدرج النبات وصار حيواناً، وحلقة الوصل بينهما، في فصل: أن أول مرتبة من الحيوانية متصلة بآخر النبات، من الرسالة الرابعة والثلاثين:

"وأما النخل فهو آخر مرتبة النباتية مما يلي الحيوانية، وذلك أن النخل نبات حيواني، لأن بعض أفعاله وأحواله مباين لأحوال النبات، وإن كان جسمه نباتاً، بيان ذلك أن القوة الفاعلة فيه منفصلة من القوة المنفعلة، والدليل على ذلك أن أشخاص الفحولة منه مباينة لأشخاص الإناث، وللفحولة من أشخاصه لقاح في إناثها كما يكون ذلك في الحيوان، وأما سائر النبات فإن القوة الفاعلة منه ليست بمنفصلة من المنفعلة بالشخص، بل بالفعل، وأيضاً، فإن النخل إذا قطعت رؤوسها جفت وبطل نموها ونشوؤها وماتت، وكذلك موجود في الحيوان، فهذا الاعتبار يبين أن

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص٢٢٢.

النخل نبات بالجسم، حيوان بالنفس؛ إذ كانت أفعاله أفعال النفس الحيوانية، وشكل جسمه شكل نباتي"(١).

وهذه هي مراتب الحيوانات، من أقلها مرتبة، وهو ما يلي النبات مباشرة، إلى أرقاها، وهو حلقة الوصل بين الحيوان والإنسان:

"فأدون الحيوان وأنقصه هو الذي ليس له إلا حاسة واحدة فقط، وهو الحلزون، وهي دودة في جوف أنبوبة، تنبت تلك الأنبوبة على الصخر الذي في سواحل البحار وشطوط الأنهار، وتلك الدودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الأنبوبة، وتنبسط يمنة ويسرة تطلب مادة يتغذى بها جسمها، فإذا أحست برطوبة ولين انبسطت إليه، فإن أحست بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت في جوف تلك الأنبوبة، وليس لها سمع ولا بصر ولا شم ولا ذوق إلا اللمس فحسب، فهذا حيوان نباتي، لأنه ينبت جسمه كما ينبت بعض النبات ويقوم على ساقه قائماً، وهو من أجل أنه يحركه حركة اختيارية حيواني، ومن أجل أنه ليست له إلا حاسة واحدة فهو أنقص الحيوانات رتبة في الحيوانية ... فنريد أن نذكر ونبين كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي الإنسانية ليست من وجه واحد ولكن من عدة وجوه، وذلك أن رتبة الإنسانية لما كانت معدن الفضائل وينبوع المناقب لم يستوعبها نوع واحد من الحيوان، ولكن عدة أنواع، فمنها ما قارب رتبة الإنسانية بصورة جسده مثل القرد، ومنها بالأخلاق النفسانية كالفرس في كثير من أخلاقه، ومثل الفيل في ذكائه وكالببغاء والهزار ونحوهما من

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص٢٢٣.

الأطيار الكثيرة الأصوات والألحان والنغمات، ومثل ذلك النحل اللطيف الصنائع ... وهذه الحيوانات في أخر مرتبة الحيوانية مما يلي رتبة الإنسان لما يظهر منها من الفضائل الإنسانية، وأما باقي أنواع الحيوانات ففيما بين هاتين المرتبتين"[1].

والإنسان حيوان، وإن كان أرقى الحيوانات، كما تخبرك الرسالة السابعة والأربعون، في ماهية الناموس الإلهي وشرائط النبوة وكمية خصالهم ومذاهب الربانيين والإلهيين:

"وأن أتم الحيوانات هيئة، وأكملها صورة، وأشرفها تركيباً هو الإنسان"[2].

وهذه هي أدنى مرتبة في الإنسان، وأقربها للحيوان، يخبرك بها فصل: أدون رتبة الإنسانية:

"اعلم يا أخي أن أدون رتبة الإنسانية مما يلي الحيوانية، هي رتبة الذين لا يعلمون من الأمور إلا المحسوسات، ولا يعرفون من الخيرات إلا الجسمانيات، ولا يطلبون إلا إصلاح الأجساد، ولا يرغبون إلا في الدنيا، ولا يتمنون إلا الخلود فيها، مع علمهم أنهم لا سبيل لهم إلى ذلك، ولا يشتهون من اللذات إلا الأكل والشرب مثل البهائم، ولا يتنافسون إلا في

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص٢٢٤-٢٢٥.

٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص١٧٨.

الجماع والنكاح كالخنازير والحمير ... وإن كانت صورتهم الجسدانية صورة الإنسان، فإن أفعال نفوسهم أفعال النفوس الحيوانية والنباتية"(١).

والذين لا يعلمون من الأمور إلا ما يقع تحت طائلة الحواس، ولا يعرفون من الخيرات إلا الماديات، وتخبرك رسائل إخوان الصفا أنهم أدون رتبة في عالم الإنسان وأقربها لعالم الحيوان، هم في الحقيقة عموم الأميين وجُل البشر.

والإنسان يحوي العالم كله في داخله، كما يخبرك فصل: في أن أنواع الحيوانات كثيرة، من الرسالة السادسة والعشرين:

" وبالجملة ما من حيوان، ولا معادن، ولا نبات، ولا ركن، ولا فلك، ولا كوكب، ولا برج، ولا موجود من الموجودات له خاصية إلا وهي توجد في الإنسان، أو مثالاتها كما بينا قبل من كل شيء طرفاً، وهذه الأشياء التي ذكرنا في أمر الإنسان لا توجد في شيء من أنواع الموجودات التي في هذا العالم إلا في الإنسان، فمن أجل ذلك قالت الحكماء إن الإنسان وحده بعد كل كثرة، كما أن الباري جل ثناؤه قبل كل كثرة"(٢).

فالإنسان في المستوى الأخير من الوجود والعالم المنظور، نظير الإله في المستوى الأول، ويحوي في عالم التشكل والأجسام الإلهَ والوجودَ كله في

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص٢٢٥-٢٢٦.

٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص٢٠.

داخله، كما أن الإله يحويه ويحوي الوجود كله في عالم الروحانية والفيوض النورانية.

وها هنا نريدك أن تعود إلى باب عقيدة التطور البيولوجي في الشرق، من الكتاب الذي بين يديك، وتراجع ما أتيناك به من عبارات ابن عربي الصوفي، والقزويني المؤرخ، وابن مسكويه الفيلسوف، عن ترتيب الموجودات واتصال آخر كل مرتبة في المخلوقات بأول التي تليها، وسوف تتيقن أنهم كانوا يغرفون من رسائل إخوان الصفا غرفاً، ونقلوا عباراتها نصاً كما هي، وكل منهم ينسب ما قاله لنفسه، ودون أن يذكروا أو يشيروا إلى جماعة إخوان الصفا الإسماعيلية اليهودية، وهي النبع الأول والمصدر الأصلي المجهول الذي ابتكر عقيدة التطور البيولوجي وبثها في الشرق، ومنها ومن شقيقاتها في فروع الإسماعيلية انتقلت إلى الغرب.

إخوان الصفا وابن خلدون

لا يوجد ذكر لإخوان الصفا ورسائلهم في مقدمة ابن خلدون لتاريخه، ولا في التاريخ نفسه، ومع ذلك لا ريب أن ابن خلدون قد اطلع على رسائل إخوان الصفا، لعدة أسباب، أولها سعة اطلاعه على معارف عصره وما سبقه من كتب ومصنفات ومؤلفات، وثانيها شيوع رسائل إخوان الصفا وذيوعها بين الكتاب والمؤلفين في مختلف المجالات، في زمن ابن خلدون عموماً، وفي بلدان المغرب الإسلامي خصوصاً.

فأما عن شيوع رسائل إخوان الصفا في زمن ابن خلدون عموماً، فقد ظهرت رسائل إخوان الصفا في أوائل القرن الرابع الهجري، وابن خلدون ولد وعاش في القرن الثامن الهجري، أي بعد أربعة قرون من ظهور الرسائل، وكانت قد ذاعت وتسرب ما فيها من أفكار تلتبس فيها المعارف بالأباطيل إلى مصنفات المتفلسفة والمتصوفة والأدباء والمؤرخين، من مشرق بلاد الإسلام إلى مغربها.

يقول المؤرخ والمستشرق الهولندي تيتزي دي بور في الباب الذي خصصه لإخوان الصفا، من كتابه: تاريخ الفلسفة في الإسلام:

"غير أن رسائل إخوان الصفا وأراءهم أثرت تأثيراً كبيراً في معظم المثقفين، وقد ظهرت آراء إخوان الصفا عند فرق كثيرة في العالم الإسلامي، كالباطنية والإسماعيلية والحشاشين والدروز وغيرهم، وقد

أفلحت الحكمة (الفلسفة) اليونانية في أن تستوطن الشرق، وذلك عن طريق إخوان الصفا، والإمام الغزالي يرمي بفلسفة إخوان الصفا جانباً، ويَعُدها فلسفة العامة من الناس، غير أنه لا يجد بأساً في أن يقتبس منها ما فيه خير، وهو مدين لفلسفتهم بأكثر مما يعترف به"[١].

وأما شيوع رسائل إخوان الصفا وذيوعها في بلدان المغرب الإسلامي خصوصاً، فقد ولد ابن خلدون سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، في تونس، وتوفي سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، وعاش جُل حياته في كنف دول المغرب الإسلامي ومتنقلاً بين مدنها، من تونس إلى أقصى المغرب، وعاش فترة في الأندلس، وألف تاريخه ومقدمته وهو ضيف على بني سلامة في قلعتهم، في تاوغزوت، قرب مدينة تاهِرت الحالية، شمال غرب الجزائر، وبنو سلامة بربر من بني توجين، أحد فروع زناتة، والإسماعيلية سيطرت على المغرب الإسلامي وانتشر دعاتها في بلدانه ومدنه، وذاعت عقيدتها وتعاليمها، بعد تحالف البربر مع أبي عبد الله الداعي وعبيد الله المهدي حفيد عبد الله بن ميمون القداح، وإطاحتهم بدولة بني الأغلب السنية، وقيام الدولة العبيدية الفاطمية، سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، وبعد سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، ظل كثير من آثار الإسماعيلية باقياً في بلدان المغرب الإسلامية لفترة طويلة، كما ظلت آثارهم الاجتماعية والاحتفالية وما أحدثوه من أعياد وطقوس في مصر، وبعضها ما زال باقياً إلى يومك هذا.

---

١) تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص١٢٤.

والأندلس كانت إحدى مناطق تمركز الإسماعيلية، حتى بعد سقوط الدولة الفاطمية، والرسالة الجامعة التي أخبرناك أن مؤرخي الإسماعيلية ينسبونها للإمام المستور أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل، يعتقد كثير من المؤرخين أن مؤلفها الحقيقي هو المنجم والمتفلسف الأندلسي مسلمة بن أحمد المجريطي، المتوفى سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، وهو من الإسماعيلية.

يقول أستاذ الآداب العربية والفارسية في جامعة سورات الهندية، دكتور حسين الهمداني، في كتابه: بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا وعقائد الإسماعيلية فيها:

"والمستشرق كزانوفا Casanova، وجد نسخة من الرسالة الجامعة في المكتبة الأهلية بباريس ... وأيضاً توجد مخطوطات هذه الرسالة في مكتبة ميونيخ بألمانيا، وفي دار الكتب المصرية، ومكتبة الأستاذ المرحوم أحمد تيمور باشا في مصر، وكلها منسوبة للمجريطي"[١].

وأما السبب الثالث، الذي من أجله لا ريب أن ابن خلدون قد اطلع على رسائل إخوان الصفا وأخذ منها، فهو أن بعض الأفكار في مقدمته لها نظائر في رسائل إخوان الصفا، أو تشبهها، فإليك مثالين على ذلك.

فأما الأول، فأشهر فكرة في مقدمة ابن خلدون، هي نظريته عن تطور العمران ونشأة الدول واضمحلالها، وأن لها بداية وذروة ونهاية، ولها أعماراً

---

١) دكتور حسين الهمداني: بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا وعقائد الإسماعيلية فيها، ص١٠-١١، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

كأعمار الأشخاص، وارتباطِ بدايتها بالبأس والخشونة، ونهايتِها بالترف، يقول ابن خلدون في فصل: في أن الدولة لها أعمار طبيعية كأعمار الأشخاص، من المقدمة:

"وأما أعمار الدول أيضاً، وإن كانت تختلف بحسب القِرانات، إلا أن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال ... لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها، من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد، فلا تزال بذلك سَوْرَة العصبية محفوظةً فيهم، فحدُّهم مُرْهَف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون، وأمَّا الجيل الثاني فقد تحوَّل حالهم بالملك والترفُّه من البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد وكسل الباقين عن السعي فيه، ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة، فتنكسر سَوْرة العصبية بعض الشيء، وتؤنَس منهم المهانة والخضوع ... وأمَّا الجيل الثالث، فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية، ويبلغ فيهم الترف غايته بما يتفنَّقوه من النعيم وغضارة العيش، فيصيرون عيالاً على الدولة، ويفقدون العصبية بالجملة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ... فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة، ويصطنع من يُغني عن الدولة بعض الغناء، حتى يتأذن الله بانقراضها، فتذهب الدولة بما حملت"[1].

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج١، ص١٣٠-١٣١.

وفي فصل: في خواص الأقاليم، من رسالة إخوان الصفا الرابعة، رسالة الجغرافيا، أنه:

"واعلم بأن كل دولة لها وقت منه تبتدي، وغاية إليها ترتقي، وحد إليه تنتهي؛ فإذا بلغت إلى أقصى غاياتها ومدى نهاياتها، تسارع إليها الانحطاط والنقصان، وبدا في أهلها الشؤم والخذلان، واستأنف في الآخرين من القوة والنشاط والظهور والانبساط، وجعل كل يوم يَقوى هذا ويزيد، ويضعف ذاك وينقص، إلى أن يضمحل الأول المقدم ويستمكن الآتي المتأخر ... وقد ترى أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروحٍ منه، أنه قد تناهت دولة أهل الشر (الدولة العباسية) وكثرت أفعالهم في العالم في هذا الزمان، وليس بعد التناهي في الزيادة إلا الانحطاطُ والنقصان، واعلم أن الملك والدولة ينتقلان في كل دهر وزمان ودور وقِران من أمة إلى أمة، ومن أهل بيت إلى أهل بيت، ومن بلد إلى بلد"[١].

وأما المثال الثاني، فهو ربط ابن خلدون بين الدين وحيازة الملك والسلطان، يقول في فصل: في أن الدولة العامة الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين إما من نبوة أو دعوة حق:

"وذلك لأن الملك إنما يحصل بالتغلب، والتغلب إنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة، وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه قال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج١، ص١٣٠-١٣١.

ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ ﴾ (الأنفال: ٦٣)، وسره أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك، فعظمت الدولة"[١].

وفي المحاورة بين الإنس والجن والحيوانات والطيور، في الرسالة الثانية والعشرين، رسالة: في كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها، يقول الإنسي الفارسي للملك:

"قال: إن الدين والمُلك أخوان توأمان لا يفترقان، ولا قوام لأحدهما إلا بأخيه، غير أن الدين هو الأخ المقدم والمُلك هو الأخ المؤخر المعقِّب له، فلا بد للمَلِك من دين يدين به الناس، ولا بد للدين من ملك يأمر الناس بإقامة سنته طوعاً أو كرهاً، فلهذه العلّة يقتل أهل الديانات بعضهم بعضاً، طلباً للملك والرياسة، كل واحد يريد انقياد الناس أجمع لسنة دينه وأحكام شريعته"[٢].

وبمناسبة هذه العبارة هاك هي بنصها، في باب: الإمامة، من كتاب: الاقتصاد في الاعتقاد، للفقيه الشافعي أبي حامد الغزالي، يقول:

---

١) مقدمة ابن خلدون، ج٢، ص٥١٩.

٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٢، ص٣٠٨.

"ولهذا قيل: الدين والسلطان توأمان، ولهذا قيل: الدين أس والسلطان حارس، وما لا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع"[1].

وإخوان الصفا حركة سرية، ومثل جميع الحركات السرية، تلبس الحق بالباطل، والمعارف بالضلالات، كما أخبرناك من قبل، وكما سنزيدك بياناً من بعد، وعبارتهم التي أخذها ابن خلدون وطورها، وأخذها أبو حامد الغزالي كما هي، صحيحة، ولكن جئناك بها لكي تدرك مدى تأثير إخوان الصفا، وشيوع رسائلهم وأفكارها في بلدان الإسلام.

وهنا، وقبل أن ننتقل بك إلى مسألة التطور في مقدمة ابن خلدون، وصلتها بعقيدة التطور في رسائل إخوان الصفا، لابد أن نتوقف بك عند مسألتين.

فأما المسألة الأولى، فهي أن الدكتور الأمي محمود إسماعيل، أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب بجامعة عين شمس، في مصر، انتبه إلى التشابه بين بعض أفكار ابن خلدون في مقدمة تاريخه، وبين رسائل إخوان الصفا، وألف في ذلك كتاباً عنوانه: نهاية أسطورة، نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفا، ونقل نصوصاً يضاهي فيها بين رسائل إخوان الصفا وما جاء في مقدمة ابن خلدون.

---

١) حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي: الاقتصاد في الاعتقاد، ص١٠٦، اعتني بتصحيحه: مصطفى القباني الدمشقي، طبع بالمطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم بمصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

وقد أخبرناك من قبل، أن ابن خلدون اطلع على رسائل إخوان الصفا، وتأثر بأفكارها وصاغ منها بعض أفكاره ونظرياته، ونعرف ذلك من قبل أن نطلع على كتاب دكتور محمود إسماعيل، ولكن دكتور محمود إسماعيل ضخم آثار إخوان الصفا ورسائلهم في مقدمة ابن خلدون، وجعل كل ما في المقدمة من نظريات وأفكار وآراء بلا استثناء سرقات من الرسائل، واتهم ابن خلدون بأنه أخذها ووضعها في مقدمته دون نظر ولا تمحيص.

يقول دكتور محمود إسماعيل في مقدمة كتابه:

"ولسوف تتبدد الهالة الزائفة التي نسجها هؤلاء الدارسون وتوجوا بها المعجزة الخلدونية، عندما يطالع القارئ المبحث الخاص بما نقله ابن خلدون عن إخوان الصفا، إذ إن إمام المؤرخين وأول فيلسوف للتاريخ ومؤسس علم الاجتماع حين أقدم على فعلته تلك، كان متسقاً مع نفسه ومع عصره، مع نفس جبلت على الميكيافيللية، وشبت عليها لتتأصل من خلال حياة مضطربة حافلة بالمغامرات السياسية والطموح اللا محدود، وحين فشِلت في ذلك انصرفت إلى ميدان المعرفة، تبحث عن شهرة بأية وسيلة، حتى لو كانت بالسطو على إنجازات الآخرين، كان ابن خلدون متسقاً كذلك مع أخلاقيات عصر أطلق عليه عصر الانحطاط"[1].

---

١) دكتور محمود إسماعيل: نهاية أسطورة، نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفا، ص٩-١٠، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م.

ودكتور محمود إسماعيل اتهم ابن خلدون بالسطو على رسائل إخوان الصفا وسرقة جميع نظرياته وأفكاره منها، ووصمه بالميكيافيلية والانحطاط، لأنه وقع في غرام إخوان الصفا ويهيم برسائلهم، وله كتاب آخر عنهم وعنها، عنوانه: إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، ويقول في مقدمته:

"لا نبالغ إذا اعتبرنا جماعة إخوان الصفا رائدة التنوير في الفكر العربي الإسلامي، وأن معارفهم فضلاً عن موسوعيتها تمثل أرقى ما وصل إليه هذا الفكر عبر تاريخه الطويل، لا لشئ إلا لأن هذه الجماعة ضمت صفوة الإنتلجنتسيا أو النخبة المفكرة في العلوم والفنون والآداب طوال القرنين الرابع والخامس الهجريين"[١].

ونسينا أن نخبرك أن أستاذ التاريخ الإسلامي، دكتور محمود إسماعيل، ولا مؤاخذة ماركسي، ومن أقواله: **"الماركسية لم تأت لهدم ثوابت الدين"**[٢]، وهي قولة من يقولها لا يخرج عن واحد من اثنين، إما أنه جاهل ولا يعرف ما هي الماركسية، أو أنه مدلس ودجال.

وجماعة إخوان الصفا عند المؤرخين التقليديين جماعة من الشيعة الإسماعيلية، مثل غيرها من فروع الإسماعيلية، كالقرامطة والحشاشين

---

١) دكتور محمود إسماعيل: إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، ص٤، عامر للطباعة والنشر، المنصورة، ١٩٩٦م.

٢) دكتور: محمود إسماعيل: الماركسية لم تأت لهدم ثوابت الدين، ٦ أغسطس ٢٠١٦م.
https://www.ahram-canada.com/106991/

والنصيرية، وهي عندنا، كما علمت تفصيلاً، ليست سوى حركة سرية تقليدية، قلبها ونواتها اليهود والقبالاه، والماسونية والحركات السرية التي ظهرت في الغرب بعد الحروب الصليبية امتداد لها ولبقية فروع الإسماعيلية.

ورسائل إخوان الصفا التي يهيم بها الدكتور ولا مؤاخذة الماركسي، لبسوا فيها الحق بالباطل، في كل مجال من مجالات المعرفة، وغايتهم منها تذويب مسألة الألوهية وعقيدة واجب الوجود، وإسقاط القرآن والشريعة، وهدم الدولة العباسية السنية، لكي يقيموا دولة اليهود الأخفياء، وهذه الرسائل في الشرق صنو الموسوعة التي وضعها اليهود والماسون قبيل الثورة الفرنسية في الغرب، لكي يزيحوا بها المسيحية ويسقطوا العروش التي ترتبط بها، لكي يقيموا دولة الحركات السرية وعالم القبالاه.

فارجع إلى باب: التنوير أوله في الموسوعة وآخره في الهيكل، من كتابنا: اليهود والماسون في الثورات والدساتير، لتعلم تفصيلاً من الذين وضعوا الموسوعة الفرنسية ولماذا وضعوها، وكيف وظفوها في بلوغ غايتهم، ثم اعلم أن الأذهان والنفوس التي وضعتها هي نفسها التي وضعت رسائل إخوان الصفا[١].

وأما الماركسية فقد عرفت في عدد من كتبنا السابقة، أنها تطوير لنظرية التطور البيولوجية، نقل فيه ماركس التفسير التطوري من البيولوجيا وتفسير

---

١) دكتور بهاء الأمير: اليهود والماسون في الثورات والدساتير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٢م.

ظهور المخلوقات، إلى التاريخ والاجتماع لتفسير نشأة المجتمع البشري ومسار التاريخ، وأنه إذا كانت نظرية التطور البيولوجية بديل الخلق الإلهي، فالماركسية أو نظرية التطور الاجتماعي هي بديل الوحي، وعرفت كذلك أن كارل ماركس يهودي اسمه الحقيقي حاييم هيرشل موردخاي Chaim Hirschel Mordechai، ووضع نظريته الماركسية تحت رعاية اليهودي الألماني موشيه هس Moshe Hess، أحد آباء الحركة الصهيونية، ومؤسس تيار الصهيونية الاشتراكية Socialist Zionism، وموشيه هس هو الذي صك مصطلح الاشتراكية، وكان أول من استخدمه في دعوته لتكوين روابط من العمال اليهود في وسط أوروبا وشرقها وانتخاب مجموعات منهم تهاجر إلى فلسطين وتستوطنها.

فلعلك تكون قد أدركت السر خلف غرام أستاذ التاريخ، ولا مؤاخذة الماركسي، محمود إسماعيل، بإخوان الصفا ورسائلهم، وموقفه من ابن خلدون، والسر هو أن الطيور التي تصنع رؤوسها وتستوطن نفوسها الأفكار والتفانين اليهودية، على أشكالها تقع، وإن تباعدت أزمانها وتناءت أماكنها.

وأما المسألة الثانية، التي نتوقف بك عندها، فهي أن جميع الكُتاب والباحثين والمفكرين يُكونون أفكارهم وآراءهم ونظرياتهم من أفكار من سبقوهم، ولا أحد يبدأ من فراغ مطلق، فمنهم من يأخذها كما هي ويضع عبارة أو فكرة من هنا إلى جوار عبارة أو فكرة من هناك، ولا شئ آخر، وهذا الطراز هو جل الكاتبين والباحثين، وهم النمل الذي يبذل جهداً شاقاً هائلاً

دؤوباً ومنظماً من أجل بناء المستعمرة وتمهيدها وتنظيفها والحفاظ عليها، ولكنه لا ينتج شيئاً جديداً ولا مختلفاً.

ومنهم من يفحص ويمحص ما يقابله من أفكار، وينتقي ما يأخذه منها، ثم يطورها أو يستخلص ما فيها، أو يفككها إلى عناصرها الأولية ويعيد تركيبها، أو يضاهيها بغيرها أو يمزجها بها، فيخترق بذلك غيومها ويرى فيها ما لم يره من سبقوه، وينتج من تلاقيها في عقله أفكاراً جديدة لا سابق له فيها، وهؤلاء هم النحل الذي يطوف على ألف زهرة ثم يمزج رحيقها معاً ليخرجها قطرات من شئ مختلف مبتكر لا علاقة له بالمادة الأولى التي أنتجه منها.

وابن خلدون من النحل، ولكن لأن الدكتور محمود إسماعيل ولا مؤاخذة ماركسي، ولأن فيروس الماركسية ضرب عقله ونفسه، وخرَّب تكوينه وموازينه، وأوقعه في غرام إخوان الصفا ورسائلهم، فقد جعل ابن خلدون من النمل.

ورسائل إخوان الصفا يلتبس فيها الحق بالباطل، وهي استراتيجية اليهود والحركات السرية في كل البلدان والأزمان، وقد نبهك الله عز وجل إليها في بيانه إلى خلقه، يقول عز وجل مخاطباً بني إسرائيل:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ **(آل عمران: ٧١)**.

ولبس الحق بالباطل، الذي أخبرك بيان الإله إلى خلقه أنه من سمات بني إسرائيل وخصائص تدبيرهم، ليس الصورة البسيطة الساذجة، كما قد يتبادر إلى ذهنك، والتي تقتصر على خلط أخبار أو أقاويل صحيحة بأخرى كاذبة، بل لبس الحق بالباطل منهج يسري في صناعة جميع أنواع العلوم والمعارف التي وضع بنو إسرائيل واليهود والحركات السرية التي تدور من حولهم أيديَهم فيها، ففي كل فرع من فروع المعرفة، علم الفلك والكيمياء والأحياء والطب والتاريخ والجغرافيا وعلم النفس، يمزجون بين الحقائق المادية القائمة بالأدلة والبراهين وبين الأباطيل التي يعتنقونها ولا دليل عليها، ويسربون هذه الأباطيل في وعي البشر وعقولهم محمولة في بطن تلك الحقائق.

وتمييز الحقائق من الأباطيل التي تلتبس بها مسألة عسيرة وتحتاج إلى وعي علوي فائق وبصر نافذ وعلم محيط بالحق والأباطيل معاً وقدرة فذة على تخليص الحق وفصله عن الأباطيل، وهو ما لا يمكن أن يتأتى لأحد من الأميين، بالغاً ما بلغ ما حصل عليه من شهادات الجامعات الأمية أو ما حازه من ألقاب، ولا سبيل إليه إلا ببناء ذهني ونفسي كونه ورواه الوحي، مصدر المعرفة المطلق، ويرى ويفهم كل شيء في الوجود من خلاله، ولا تذهله الأغلفة البراقة والشعارات الرنانة عن معياره وميزانه.

ورسائل إخوان الصفا، من بدايتها إلى نهايتها، وفي جميع ما تحويه من معارف وعلوم، ليست سوى حقائق تم مزجها بالضلالات والأباطيل.

وابن خلدون أفاد من رسائل إخوان الصفا، لا ريب عندنا في ذلك، ولكن ما لم يدركه أستاذ التاريخ، ولا مؤاخذة الماركسي، الذي يهيم بإخوان الصفا ورسائلهم، أن ابن خلدون ميز في رسائل إخوان الصفا الظواهر والأفكار التي هي حقائق أو معارف محض، وفصلها عن الأباطيل التي لبسها إخوان الصفا بها، ثم حللها إلى عناصرها وأعاد سبكها وصياغتها ليقيم منها بناءًا متكاملاً بريئاً من الضلالات، ولا وجود له عند إخوان الصفا.

وعقيدة التطور عند إخوان الصفا، نموذج على ذلك.

التطور البيولوجي بين إخوان الصفا وابن خلدون

رسائل إخوان الصفا، كما رأيت، تحوي عقيدة التطور البيولوجي، بجميع أركانها وعناصرها، كما ظهرت بعد أن طورها القباليون والحركات السرية في الغرب، وبعد أن اكتملت في الداروينية، اشتراك جميع الكائنات والموجودات في أصل واحد، وخروجها ذاتياً من بعضها، ووجود حلقات وصل وانتقال بين الجماد والنبات والحيوان والإنسان، وإدخال الزمان فاعلاً في هذا الانتقال وظهور المخلوقات محل الخلق والإرادة الإلهية، وتمرير هذه الأباطيل والضلالات جميعها مخبأة في مسألة تصنيف الأنواع وترتيب المخلوقات، التي هي حق ومعرفة مجردة.

ورغم ذلك، فالمسألة الجوهرية والفاصلة، التي ينكشف بها تمويه إخوان الصفا، وتنقُّل نظريتهم عن ظهور المخلوقات، من مسألة تصنيف الأنواع وترتيب المخلوقات إلى عقيدة التطور البيولوجي والأصل الواحد، هي عقيدتهم في خلق الكون وجميع الموجودات بالفيض والانبثاق، واجتماعها في مرحلة من الخلق في هيولي أو أصل واحد، وأن كل مرتبة من المخلوقات هي هيولي أو أصل للمراتب التالية لها وتحتويها، فالجماد أصل للنبات والحيوان والإنسان ويحتويهم، وكذلك النبات للحيون والإنسان، والحيوان للإنسان، ولولا هذه العقيدة لكان يمكن فهم نظرية إخوان الصفا عن ظهور المخلوقات وقبولُها على أنها في تصنيف الأنواع وترتيب المخلوقات،

وعلى أن ما فيها من لمحات من عقيدة التطور البيولوجي هو من قبيل العبارات الأدبية والتشبيهات البلاغية.

وعقيدة إخوان الصفا في الإله الذي يحوي الموجودات كلها وذاته من ذاتها، وفي خروجها منه بالفيض والصدور، وليس بالإرادة والخلق الإلهي، واشتراكِها في هيولي أو أصل واحد في مرحلة من مراحل تكونها وظهورها، واحتواءِ كل منها في سابقه، وطرحُ ابن خلدون لهذه العقيدة وإطاحته بها، وإيمانُه بالإله واجب الوجود والخلق بالأمر والإرادة الإلهية، هو ما باعد بينه وبين إخوان الصفا، وأخرجه من عقيدة التطور البيولوجي، ووقف به عند حدود مسألة تصنيف الأنواع وترتيب المخلوقات، وإن تلوثت عباراته بإشعاعات من عقيدة التطور البيولوجي.

فهاك أولاً عبارات ابن خلدون في المقدمة السادسة من مقدمة تاريخه، وعنوانها: في أصناف المدركين من البشر بالفطرة أو بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا، يقول:

"اعلم، أرشدنا الله وإياك، أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام، وربط الأسباب بالمسببات، واتصال الأكوان بالأكوان واستحالة بعض الموجودات إلى بعض، لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته ... ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج، آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له، وآخر أفق

النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط، ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر كل أفق منها مستعد بالاستعداد القريب لأن يصير أول أفق الذي بعده، واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وانتهى في تدريج التكوين إلى الانسان صاحب الفكر والروية ترتفع إليه من عالم القردة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل، وكان ذلك أول أفق من الانسان بعده"[1].

وعبارات ابن خلدون في مقدمته منقولة بنصها من عبارات إخوان الصفا في رسائلهم، وتلوثت حقاً بإشعاعات نظرية التطور البيولوجي عندهم، وفيها سقطة عقائدية ومعرفية، وهي قوله: "**واستحالة بعض الموجودات إلى بعض**"، التي تعني خروج بعض المخلوقات من بعضها الآخر.

فأما أنها سقطة عقائدية، فلأنه ينقضها قوله تعالى:

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ ﴾ **(الذاريات: ٤٩)**

وهنا ننبهك إلى أن استحالة الموجودات أو خروج بعضها من بعض، هو تفسير عقيدة التطور البيولوجي ومن يعتنقونها من الملاحدة والقباليين ورجال الحركات السرية، ومن تلوثت أفكارهم بها، لتنوع الموجودات والمخلوقات والفروق بينها في التكوين، ولمناسبة تركيب كل مخلوق وقدرات أعضائه

---

١) مقدمة ابن خلدون، ج١، ص٤١٠-٤١١.

ووسائله في الإدراك لوظيفته وللبيئة التي يعيش فيها، لأنه عند إنكار الوجود والخلق الإلهي يتحتم هذا التفسير، ولا بديل له.

أما في عقيدة الإله واجب الوجوب الخالق لكل شئ بإرادته وقدرته، فتفسير مناسبة تكوين كل موجود، وتركيبِ أعضاء كل مخلوق وقدراته ووسائله في الإدراك، لوظيفته ونوعية نشاطه وبيئته، أخبرك به الله عز وجل في بيانه الخاتم إلى البشرية، في قول موسى عليه السلام وهو يخاطب فرعون:

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ (طه: ٤٩-٥٠).

وفي قوله تعالى، في سورة الأعلى:

﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾

(الأعلى: ١-٣).

فالله عز وجل هو الذي خلق الموجودات والمخلوقات جميعها، وأعطى كل موجود ومخلوق من التكوين والأعضاء والقدرة على الإدراك ما تقوم به حياته ويحفظ نوعه ويناسب وظيفته ونشاطه وبيئته.

وأما أن ما قاله ابن خلدون سقطة معرفية، فلأنه جزم في عبارته بأن البشر شاهدوا استحالة بعض المخلوقات إلى بعض، فيقول:

"أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام، وربط الأسباب بالمسببات، واتصال الأكوان بالأكوان واستحالة بعض الموجودات إلى بعض ...".

والسقطة أنه لا يوجد أحد في البشرية، لا في زمان ابن خلدون ولا بعده، وحتى هذه اللحظة التي نكتب لك فيها هذا الكلام، شاهد أو رصد خروج مخلوق من مخلوق، ولا مرتبة في الوجود من أخرى، ولا أحد في تاريخ الإنسانية أثبت بالعلم والبراهين التجريبية أنه يمكنه بكل ما تمتلكه البشرية من وسائل إنتاج الطاقة، أن يهب الحياة لحفنة تراب ويحولها إلى خلايا حية، ولا أنه يستطيع غرس حشائش ويجعلها بالتكنولوجيا تنتج نخلاً، أو غرس فسيلة نخل فيجعلها تطرح ديداناً، ولا أنه يمكنه تعهد قرد وتحويله إلى إنسان عاقل ناطق مفكر.

فنظرية التطور البيولوجي، كما أخبرناك ونكرر عليك، ونلح في التكرار، نظرية عقائدية وليست نظرية علمية، ومصدرها أذهان من يعتنقونها، ولا دليل عليها من خارج أذهانهم ولا شواهد لها في الطبيعة والمخلوقات.

وقد أخبرناك في باب: التطور والداروينية، من كتابنا: التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، أن من يعتنقون عقيدة التطور البيولوجي من علماء الطبيعة والأحياء في بلابيص ستان، بذلوا خلال القرن العشرين جهوداً فادحة في المعامل، وأنفقوا أموالاً طائلة على التجارب، من أجل البرهنة على

إمكانية تحويل الجماد أو الأنسجة الميتة إلى خلايا حية، بتسليط قدر هائل من الطاقة عليها، وفشلوا وأقروا بفشلهم.

والطفْرات الجينية، التي افترضوا أنها الوسيط في تطور المخلوقات وخروجها من بعضها، هم أنفسهم وجدوا بالرصد والتجارب والإحصاءات أن أي طفرةٍ جينية تكون مصحوبة بتشوهات في الخِلقة والأعضاء، وليس بارتقاء في تركيبها ووظائفها.

وتطور المخلوقات الأرقى وخروجها من الأدنى، الذي تقوم عليه عقيدة التطور البيولوجي، ينقضه قانون كوني يشمل كل شيء في الوجود، هو قانون الإنتروبي Entropy أو العشوائية والتحلل، وهو القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية، وخلاصته أن أي نظام أو منظومة في الكون تتجه مع الوقت وتلقائياً نحو العشوائية والفوضى والتحلل، وتزيد نسبة هذه العشوائية في النظام أو المنظومة بمرور الزمن، وأن ذلك غير قابل للانعكاس، فلا يوجد شيء في الكون يتجه من تلقاء نفسه أو بفعل الزمن نحو النظام والارتقاء، وهو بذلك نقيض نظرية التطور البيولوجي.

فإليك أستاذ الفيزياء والرياضيات في جامعة فيينا، ألفريد فِيَرل Alfred Wehrl، وهو أحد الرواد والخبراء في الإنتروبيا، يخبرك في دراسته: الخصائص العامة للإنتروبيا General Properties Of Entropy، والتي نشرها سنة ١٩٧٨م، في مجلة الفيزياء الحديثة Reviews Of Modern Physics، التي يصدرها معهد الفيزياء النظرية في جامعة فيينا Institute

For Theoretical Physics، إليـك فِيَـرل يخبـرك أن قـانون الإنتروبيـا والعشوائية والتحلل يشمل كـل شـئ فـي الكـون ويسري فـي جميـع مجـالات العلوم والمعارف:

"ومفهوم الإنتروبيا يشمل مجالات واسعة ومختلفة، وامتد مع تطبيقاته مـــن الفيزيـــاء والــــديناميكا الحراريـــة الكلاســـيكية Classical Thermodynamics، إلــى البيولوجيـا والأنظمــة الحيويــة Biological Systems، والاقتصــاد، وعلــم الاجتمــاع، وعلـوم البيئــة والمنــاخ، وعلــوم الاتصال"[١].

وإليك أستاذ الفيزياء والكيمياء في جامعة بروكسل في بلجيكا Université Libre de Bruxelles، وجامعـة تكسـاس فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة Texas، إليا بريجوجين Ilya Prigogine، وهو حاصل على جائزة نوبل سنة ١٩٧٧م، لبحوثـه فـي مجـال الـديناميكا الحراريـة، يخبـرك بمعضـلة التنـاقض بين قانون الإنتروبيا ونظرية التطور البيولوجي.

في كتابه: النظام من الفوضى، حوار الإنسان الجديد مع الطبيعة Order Out Of Chaos, Man's New Dialogue With Nature، يقول بريجوجين:

"وثمة سؤال يؤرقنا منذ أكثر من قرن، وهو: هل يمكن أن يكـون لنظريـة تطور الأحياء اعتبار في العالم الذي تصفه الديناميكا الحرارية، عالمٍ تتزايد

---

1) Alfred Wehrl: General Properties Of Entropy, Reviews Of Modern Physics, Vol. 50, No. 2, April 1978, P221-260.

فيه مع الزمن العشوائية والفوضى، ما هي العلاقة بين زمن الديناميكا الحرارية والزمن في التطور الذي يتجه بالأحياء نحو التركيب والتناسق .... والأنظمة البيولوجية أنظمة مغلقة، ولا يصعب القول إن البكتيريا واستجابتها الكيميائية للمؤثرات Bacterial Chemotaxis هي آلة جزيئية Molecular Machine، تتكون من المستقبلات وأنظمة الحس والتفاعل والمعالجة والاستجابة الحركية، ومعضلة المواجهة بين الديناميكا الحرارية والأنظمة البيولوجية تشمل النشاط على مستوى الجزئيات، وتركيب جزئيات الخلية ونظامها الفائق، وهي معضلة ما زال حلها بعيداً"(١).

وإذا كان عسيراً عليك الوصول إلى كتاب البروفسور بريجوجين وقراءتُه، فإليك مقالة وكالة الفضاء الأمريكية، ناسا Nasa، بالعربية، في موقعها الرسمي، عن الإنتروبيا وقوانين الديناميكا الحرارية، تخبرك بوضوح وصراحة أن قانون الإنتروبيا، الحاكمَ لجميع أنظمة الكون ومنظوماته، ويقضي باتجاهها مع الزمن نحو العشوائية والتحلل، يتناقض مع عقيدة التطور البيولوجي، التي تقوم على اتجاه المخلوقات بفعل الزمن نحو تطور النظام وارتقاء الأعضاء ووظائفها:

"ينطبق القانونان الأساسيان للديناميكا الحرارية على الأنظمة المغلقة فقط، أي الأنظمة التي يحصل فيها تبادل للطاقة والمعلومات والمواد، ويمكن اعتبار الكون في مجموعهِ كنظام مغلق من هذا النوع، وهذا يسمح

---

1) Ilya Prigogine: Order Out Of Chaos: Man's New Dialogue With Nature, P129, 175, Bantam Books, New York ،1984.

لنا بتطبيق القانونين على هذا النظام ... أثَّر كل من مفهوم الإنتروبيا ومفهوم تعذر الانعكاس Irreversibility المشتقين من القانون الثاني بشكل كبير على فهمنا للكون، وكذلك في أنها يواجهها (يعارضها) التطور الحيوي الذي ينشئ النظام والترتيب ... من النتائج المثيرة للقانون الثاني للديناميكا الحرارية أيضاً، فكرة الموت الحراري المحتوم للكون ... قادت هذه الفكرة العالم الفيزيائي ليون بريُّون Leon Brillouin للتساؤل: "كيف السبيل لفهم الحياة إذا كان الكون خاضعاً لقانون كالقانون الثاني للديناميكا الحرارية، قانون يُحتم الموت والفناء؟"(١).

والمهزلة والماساة في الوقت نفسه، أن الضالين الذين يعتنقون عقيدة التطور فشِلوا بكل ما يمتلكونه من تكنولوجيا ووسائل لإنتاج الطاقة، في البرهنة على أنه يمكن خلق الحياة من الجماد، وكذلك فشِلوا في إيجاد شاهد واحد على خروج مخلوق من مخلوق، وما يقولونه يتناقض مع القوانين الحاكمة لكل شئ في الكون، ثم تجد البقر من البشر يصدقونهم في أن جميع الموجودات خرجت من بعضها تلقائياً وعشوائياً بالصدف وتراكمها، دون إرادة ولا فاعل.

ونعود بك إلى ابن خلدون، فلا ريب أنه أخذ عقيدة التطور البيولوجي من رسائل إخوان الصفا، ببريق فكرة تصنيف المخلوقات وترتيب الكائنات، وأن

---

١) ناسا بالعربي: الإنتروبيا وقوانين الديناميكا الحرارية.
https://nasainarabic.net/education/articles/view/entropy-and-laws-thermody

الوجود كله مراتب مرتبة ويجمعها نظام واحد، كما أن جميع من نقلنا لك تسرب عقيدة التطور البيولوجي إلى مؤلفاتهم، مثل ابن مسكويه وابن عربي والقزويني، أخذوها في الحقيقة من رسائل تنظيم إخوان الصفا الإسماعيلي، ولكنهم تعمدوا إخفاء ذلك، وعدمَ الإشارة لإخوان الصفا ورسائلهم.

وتصنيف المخلوقات وترتيب الكائنات، هي فعلاً فكرة خلابة، غير أنها كما أخبرناك ونكرر عليك، مسألة، واشتراك الموجودات في أصل واحد وخروجها من بعضها مسألة أخرى، فترتيب المخلوقات وتصنيفها حسب درجة رقي أعضائها ووظائفها وذكائها وقدرتها على الإدراك مسألة معرفية، وشواهدها وأدلتها قائمة في الطبيعة والمخلوقات، أما القول باشتراكها في أصل واحد وخروجِ الأرقى من الأدنى فمسألة عقائدية، ولا مصدر لها سوى أذهان من يعتنقونها، والأميون لا يستطيعون التمييز بين المسألتين وفصلَ ما هو حق عما التبس به من باطل، فيقبلونهما معاً أو يرفضونهما معاً على أنهما مسألة واحدة، خصوصاً بعد أن طورها الماسون ورجال الحركات السرية في الغرب وزخرفوها بالعبارات والمصطلحات العلمية.

وأستاذ علم الاجتماع الشهير وعميد كلية التربية بجامعة الأزهر، وعميد كلية الآداب بجامعة أم درمان، دكتور علي عبد الواحد وافي، حقق مقدمة ابن خلدون تحقيقاً دقيقاً وافياً، ووضع في هوامشها ثلاثة آلاف تعليق، ومنها تعليق طويل على عبارات ابن خلدون عن ترتيب المخلوقات واستحالة بعض الموجودات إلى بعض آخر، ويقول عن هذه الفكرة في تعليقه:

"وهذه الفكرة ليست من مبتكرات ابن خلدون، بل سبقه إليها كثير من الباحثين قبله ... فقد قرر هذه الفكرة القزويني، وهو سابق لابن خلدون، في كتابه: عجائب المخلوقات، إذ يقول: " ... " ، وأشار إلى هذه الفكرة نفسها من قبل القزويني ابن الطفيل في كتابه: حي بن يقظان، وأشار إليها من قبل ابن الطفيل ابن مسكويه، المتوفى سنة ٤٢١هـ، في كتابه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حيث يقول: " ...." ، وأشار إلى الفكرة نفسها من قبل ابن مسكويه إخوان الصفا في رسائلهم التي ظهرت بين سنتي ٣٢٤هـ و٣٧٣هـ على الأرجح، إذ يقررون أن: "..."[١].

ودكتور علي عبد الواحد وافي، أدرك التشابه بين فكرة التطور البيولوجي عند ابن خلدون والقزويني وابن طفيل وابن مسكويه، وفي رسائل إخوان الصفا، لكنه لم يفطن أن المسألة ليست أن هؤلاء المؤرخين والفلاسفة وصلوا إلى هذه الفكرة وحدهم ومن تلقاء أنفسهم، بل أخذوها جميعاً من مصدر واحد، هو رسائل إخوان الصفا السابقة عليهم، والأمثلة التي أوردوها جميعاً للدَلالة على حلْقات الوصل بين مراتب الوجود، والانتقال من آخر كل مرتبة إلى أول التي تليها، مثل الكمأة وخضراء الدمن والحلزون والنخلة والقرد، جميعها مأخوذة من رسائل إخوان الصفا، بل والعبارات والكلمات التي استخدموها منقولة نصاً وحرفياً، ودون تصرف، من رسائل إخوان الصفا.

وجميع من نقلوا في مؤلفاتهم عبارات رسائل إخوان الصفا، في عقيدة التطور البيولوجي وأمثلتَها على ذلك، كانوا متأخرين عنها بفترة طويل،

١) مقدمة ابن خلدون، ج١، ص٤١١.

وجلهم فعلوا ذلك بعد سقوط مذهب الإسماعيلية وانحسار آثاره السياسية واختفاء تنظيم إخوان الصفا نفسه، وأقدم من أخذ عقيدة التطور البيولوجي عن رسائل إخوان الصفا، وأقربهم لإخوان الصفا زماناً ومكاناً، هو الفيلسوف الفارسي ابن مسكويه، في كتابيه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، والفوز الأصغر، وجماعة إخوان الصفا ورسائلها ظهرت أوائل القرن الرابع الهجري، وابن مسكويه ولد أوائل القرن الرابع الهجري، سنة ٣٢٠هـ، وتوفي أوائل القرن الخامس الهجري، سنة ٤٢١هـ، وهو بذلك معاصر لإخوان الصفا ورسائلهم بالمولد، ومتأخر عنهم بالوفاة.

أما الباقون، فبينهم وبين إخوان الصفا عدة قرون، وألفوا كتبهم التي أخذوا فيها عن رسائل إخوان الصفا عقيدة التطور البيولوجي بعد سقوط دولة الإسماعيلية العبيدية الفاطمية، وبعد اندثار تنظيم إخوان الصفا، ولو ظاهرياً على الأقل، فالفيلسوف ابن طفيل عاش في القرن السادس الهجري، وتوفي سنة ٥٨١هـ، والصوفي ابن عربي عاش بين القرنين السادس الهجري والسابع الهجري، وتوفي سنة ٦٣٨هـ، والمؤرخ والجغرافي القزويني عاش في القرن السابع الهجري، وتوفي سنة ٦٨٢هـ، وابن خلدون عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وتوفي أوائل القرن التاسع الهجري، سنة ٨٠٨هـ.

وما جرَّأهم جميعاً على الغرْفِ من رسائل إخوان الصفا دون أن يذكروها أو يشيروا إليها، أن الرسائل رغم ذيوعها ومعرفة عموم الأدباء والمؤرخين والمصنفين بها، فهي منسوبة لإخوان الصفا، وهو اسم غامض لحركة سرية،

وليست منسوبة لشخص محدد أو لأشخاص بأسمائهم، وهذه الحركة فرع من مذهب الإسماعيلية الموصوم في عموم بلاد الإسلام، خصوصاً بعد أن أسقط السلطان الناصر صلاح الدين دولته الفاطمية، وعزله في القلاع الجبلية، ومن ثم فهذه الرسائل كلأ مباح لمن يريد أن يغرف منها دون أن ينسب ما يغرفه لأحد، وهو ما كان يريده واضعو الرسائل أنفسهم، لأن هدفهم الحقيقي منها، مثل جميع الحركات السرية، أن تكون وسيلة لبث أفكارهم وإذابة العقائد وتغيير الوعي والسلوك العام، وليس تسجيل أسمائهم على ما يؤلفونه، ولا أن يدخلوا بها كتب التاريخ التي يؤلفها الأميون.

وهو ما أخبرك به صريحاً أبوحيان التوحيدي، في كتابه: الإمتاع والمؤانسة، يقول:

"وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة، عِلميها وعَمليها، وأفردوا لها فهرستاً، وسموها رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، وكتموا أسماءهم، وبثوها في الوراقين، ولقنوها للناس"[1].

ومسألة أخرى، وهي أن دكتور علي عبد الواحد وافي، افتخر في تعليقه بسبق ابن خلدون، وأنه توصل إلى نظرية التطور البيولوجية قبل تشارلز دارون، وكذلك افتخر جميع من قاموا بتحقيق كتب المتصوفة والمؤرخين والفلاسفة الذين تلوثت مؤلفاتهم بعقيدة التطور البيولوجي، مثل ابن عربي وابن مسكويه والقزويني وابن طفيل، ولأنهم أميون، وفي أذهانهم انفصال بين

---

١) الأديب أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج٢، ص٣-٥.

الـوحي والمعرفـة، فوجـه افتخـارهم أنهـم يتوهمـون أن الداروينيـة والتطـور البيولـوجي نظريـة علميـة صـحيحة، وأن هـؤلاء الشـرقيين سـبقوا الغـرب فـي التوصل إليها، ونظرية التطور البيولوجي والأصل الواحد للموجودات ليست صـحيحة، وليسـت نظريـة علميـة أصـلاً، بـل هـي نظريـة عقائديـة تـم لبسـها بالشواهد والمصطلحات العلمية، ومصـدرها القبـاليون والحركـات السرية فـي الشرق، ثم انتقلت معهم وضمن مزيج معتقداتهم الأخرى إلى الغرب، حيث تم تطويرها وإلباسها رداء العلوم.

ونعـود بـك مـرة أخـرى إلـى ابـن خلـدون، والـذي يباعـد بينـه وبـين اخـوان الصفا، ويخرج عباراته من عقيدة التطور البيولوجي الكاملة، مع تلوثه بها، وما يقف بها عند مسألة تصنيف المخلوقات وترتيبها في مراتب، وإن أوقعه في الوقت نفسه في تناقض وتضارب، أنه يؤمن بالوحي مصدراً مطلقاً وحداً أعلى للمعرفة، وأنه عزل مسألة ترتيب المخلوقات وفصلَها عن عقيدة اخوان الصفا في الخلق، وفهمها ووضعها في إطار عقيدة الخلق الإلهية، وعقيدة التطـور البيولـوجي لا تكـون ولا تسـتقيم إلا داخـل عقيـدة الصـدور وفـيض الموجودات ذاتياً عن الإله وأن ذاتها وجوهرها واحد ومن ذات الإله وجوهره، أو داخل عقيدة نفي الوجود والخلق الإلهي مطلقاً، وتحديداً نفي عقيدة واجب الوجود، وأنه خالق الموجودات جميعها بإرادته وأمره، وأن ذاته منفصلة عن ذاتها ومفارقة لها.

فأما إيمان ابن خلدون بالوحي مصدراً مطلقاً وحداً أعلى للمعرفة، فيقول في السطور الأولى من المقدمة السادسة، في أصناف المدركين من البشر

بالفطرة أو بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا، وهي المقدمة نفسها التي تحوي كلامه عن ترتيب المخلوقات واتصال آخر أفق كل مرتبة بأول التي تليها:

"اعلم أن الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصاً فضلهم بخطابه، وفطرهم على معرفته، وجعلهم وسائل بينه وبين عباده، يُعرفونهم بمصالحهم، ويُحرضونهم على هدايتهم، ويأخذون بحجزاتهم عن النار، ويدلونهم على طريق النجاة، وكان فيما يلقيه إليهم من المعارف ويظهره على ألسنتهم من الخوارق والأخبار الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من الله بوساطتهم، ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إياهم"[١].

ويقول في أول الفصل الثامن والعشرين، وعنوانه: علم الإلهيات:

"وذلك أن مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية، فهي فوقها ومحيطة بها لاستمدادها من الأنوار الإلهية، فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف والمدارك المحاط بها، فإذا هدانا الشارع إلى مُدرَك فينبغي أن نقدمه على مداركنا ونثق به دونها، ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه، بل نعتمد ما أمرنا به اعتقاداً

---

١) مقدمة ابن خلدون، ج١، ص٤٠٥-٤٠٦.

وعلماً، ونسكت عمّا لم نفهم من ذلك ونفوّضه إلى الشارع ونعزل العقل عنه"[1].

وفي الفصل الثاني والثلاثين من المقدمة، وعنوانه: في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها، أبطل ابن خلدون عقيدة الخلق بالفيض والصدور، وأطاح بجميع توابعها، وأهم من ذلك أنه أسقط أن يكون عقل الإنسان أو داخله مصدراً لإدراك مسألة الألوهية وفهمها ومعرفة كيف كان الخلق، وهي أصل جميع العقائد الباطنية ومحورها، يقول:

"ذلك أنّ قوماً من عقلاء النوع الإنساني زعموا أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته وأحواله بأسبابها وعللها بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية ... واعلم أن هذا الرأي الذي ذهبوا إليه باطل بجميع وجوهه، فأما إسنادهم الموجودات كلها إلى العقل الأول واكتفاؤهم به في الترقي إلى الواجب فهو قصور عمّا وراء ذلك من رتب خلق الله، فالوجود أوسع نطاقاً من ذلك، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ (النحل: ٨)، وأما البراهين التي يزعمونها على مدّعياتهم في الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهي قاصرة وغير وافية بالغرض، أما ما كان منها في الموجودات الجسمانية ويسمّونه العلم الطبيعي فوجه قصوره أن المطابقة بين تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والأقيسة كما في زعمهم وبين ما في الخارج غير يقيني، لأن تلك أحكام ذهنية كلية عامة

---

١) مقدمة ابن خلدون، ج٣، ص١٠٢٩.

والموجـودات الخارجيـة متشخصـة بموادهـا ... وأمـا مـا كـان منهـا فـي الموجـودات التـي وراء الحس، وهـي الروحانيـات، ويسمّونه العلـم الإلهـي وعلم ما بعد الطبيعة، فإن ذواتها مجهولة رأساً، ولا يمكن التوصلُ إليها ولا البرهان عليها، لأنّ تجريد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية إنّما هو ممكن فيما هو مدرك لنا، ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى نجرد منها ماهيات أخرى ... وقد صرّح بذلك محققوهم، حيث ذهبوا إلى أن ما لا مادة له لا يمكن البرهان عليه"[1].

وهذه هـي عقيدة ابن خلدون فـي مسألة الألوهية والخلق عموماً، وخلـق الإنسان خصوصاً، في الفصل الأول من الباب الخامس، وعنوان الفصل: في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وأن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية، يقول:

"اعلـم أنّ الإنسـان مفتقـر بـالطبع إلـى مـا يقوتـه ويمونـه فـي حالاتـه وأطواره، من لدن نشوئه إلى أشده إلى كبره، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ (فـاطر: ١٥)، واللـه سـبحانه خلـق جميـع مـا فـي العـالم للإنسان وامتن به عليه في غير ما آية من كتابه، فقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ (الجاثيـة: ١٣)، و﴿ سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ ﴾ (الجاثية: ١٢)، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ ﴾ (إبراهيم: ٣٢)، وسخّر لكم الأنعام،

---

١) مقدمة ابن خلدون، ج٣، ص١٠٨٠-١٠٨٣.

وكثير من شواهده، ويد الإنسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف"[1].

فالله عز وجل، في عقيدة ابن خلدون، خلق الإنسان خلقاً مستقلاً، واستخلفه في الأرض، وخلق المخلوقات والموجودات كلها وسخرها له، لا أنه خلقه منها، ولا أنها تشترك جميعاً في أصل واحد وخرج بعضها من بعض.

والخلاصة أن ابن خلدون أخذ مسألة تصنيف الأنواع وترتيب المخلوقات من إخوان الصفا، ضمن ما أخذه منها، وتلوثت أفكاره بعقيدة التطور البيولوجي، وفي كلامه السقطة العقائدية والمعرفية التي أخبرناك بها، إلا أن إيمانه بالوحي مصدراً مطلقاً وحداً أعلى للمعرفة، وبعقيدة الإله واجب الوجود والخلق بالأمر والإرادة الإلهية، أخرجه من عقيدة التطور البيولوجي الصريحة التي حتمتها عند إخوان الصفا عقيدتهم القبالية في الخلق وأنه كان بالفيض والصدور، وأن الموجودات كلها خرجت من أصل واحد، وكل مرتبة من المخلوقات تحوي المراتب التالية لها، وتلوث أفكار ابن خلدون بعقيدة التطور البيولوجي والسقطة التي سقطها، مع إيمانه في الوقت نفسه بالإله واجب الوجود والخلق الإلهي، أوقعه في تناقض وجعل أفكاره متضاربة، لأنهما عقيدتان نقيضتان ولا تجتمعان معاً.

وتنظيم إخوان الصفا هو في الحقيقة المصدر الأول والنبع الذي تفجرت منه عقيدة التطور البيولوجي في الشرق، وجميع من قالوا بها أو تلوثت

---

١) مقدمة ابن خلدون، ج٢، ص٨٣١-٨٣٢.

أفكارهم ومؤلفاتهم بإشعاعات منها إنما أخذوها من رسائلهم، وإن أخفوا ذلك ونسبوا الفكرة لأنفسهم، مثل ابن مسكويه وابن عربي والقزويني وابن طفيل وابن خلدون.

وليس ذلك فقط، بل وإخوان الصفا، أو بعبارة أدق، تنظيم اليهودي عبد الله بن ميمون القداح وفروعه في مذهب الإسماعيلية ودولة القرامطة وحركة الحشاشين وجماعة إخوان الصفا، هو أيضاً المصدر الذي سرت منه عقيدة التطور البيولوجي من الشرق إلى الغرب، مع حركة القباليين وانتقال تمركز الحركات السرية وأفكارها ومعتقداتها ومجال نشاطها الرئيسي إلى الغرب إبان الحروب الصليبية وفي أعقابها، ثم طورتها الحركات السرية في الغرب، إلى أن اكتملت في الداروينية بعد أن لبسها الماسوني إرازموس دارون وحفيده الماسوني تشارلز دارون بالشواهد والمصطلحات العلمية.

ومرة أخرى، نذكرك أن ترجع إلى باب: الداروينية والتطور، من كتابنا: التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، لكي تعرف البيئة والأجواء التي وُلدت فيها الداروينية ووضع تشارلز دارون كتابه: أًصل الأنواع، والذين أسهموا في مولدها وفي نشر الكتاب والترويج له، وغرضهم من ذلك[1].

وعقيدة التطور البيولوجي، وما عرفته عنها طوال الكتاب الذي بين يديك، نموذج على كيف تتدفق الضلالات وتشيع عبر الأزمان وتسير شرقاً وغرباً

---

١) دكتور بهاء الأمير: التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، مطبوع على نفقة المؤلف، القاهرة، ٢٠١٨م.

وتسري في أدمغة الأميين في مختلف الأمم، ثم ينسبها بعضهم لأفكاره وعبقريته، ومنهم من يطورها ويبني عليها، أو يفلسفها، أو يلفق لها الشواهد ويزخرفها بالمصطلحات العلمية، والمؤرخون الأميون من أمثالهم يسيرون خلفهم في كل اتجاه، ويصنفون المصنفات في سِيرهم ونظرياتهم وأفكارهم، بينما مصدر هذه الضلالات كلها والنبع الذي نهلوا جميعاً منه واحد، وهو الطرف الوحيد الذي يحرص على إخفاء نفسه وحجب اسمه وهويته، فيظل مجهولاً ولا تجد له ذكراً في تواريخ الأميين.

المصادر والمراجع

أولاً: العربية:

١) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام: الاقتصاد في الاعتقاد، اعتني بتصحيحه: مصطفى القباني الدمشقي، طبع بالمطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم بمصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

٢) أبو حيان التوحيدي، الأديب: الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح عربيه: أحمد أمين وأحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩م.

٣) أبو علي أحمد بن مسكويه، الفيلسوف الفارسي: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، طبع على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه، المطبعة الحسينية، مصر، ١٣٢٩هـ/١٩١١م.

٤) أبو علي أحمد بن مسكويه: الفوز الأصغر، طبع على نفقة مصطفى فهمي الكتبي، طبع بمطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.

٥) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن النديم، المؤرخ: الفهرست، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى، أول شارع محمد علي بمصر، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

٦) أبو يحي زكريا بن محمد القزويني، المؤرخ والجغرافي: عجايب المخلوقات وغرايب الموجودات، تحقيق: Ferdinand Wüstenfeld، Verlag Der Dieterichschen Buchhandlung، Göttingen، 1849.

٧) أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، الإمام المستور: الرسالة الجامعة، تحقيق: دكتور مصطفى غالب، دار الأندلس، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨١م.

٨) بهاء الأمير، دكتور: التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، مطبوع على نفقة المؤلف، ٢٠١٨م.

٩) بهاء الأمير: شفرة سورة الإسراء، دار مدبولي للنشر، طبعة جديدة، القاهرة، ٢٠٢٣م.

١٠) دكتور بهاء الأمير: اليهود والماسون في الثورات والدساتير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٢م.

١١) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، المؤرخ: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٢) تيتزي دي بور، المستشرق الهولندي: تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد عبد الهادي أبو ريدة، بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.

١٣) حسين الهمداني، دكتور: بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا وعقائد الإسماعيلية فيها، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

١٤) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، عني بتصحيحه: خير الدين الزركلي، المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر، لصاحبها: مصطفى محمد، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

١٥) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، جمادى الأولى ١٤٠٥هـ.

١٦) عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الأشبيلي، المؤرخ: مقدمة ابن خلدون، دراسة وتعليق وتحقيق: دكتور علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة السابعة، القاهرة، ٢٠١٤م.

١٧) علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني، الشريف: التعريفات، المطبعة الخيرية، بجمالية مصر المحمية، ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م.

١٨) لويس شيخو اليسوعي، الأب: السر المصون في شيعة الفراماسون، الكراس الثالث، طبع بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩١٠م.

١٩) مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث: المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٠) محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمَّادي اليماني، الفقيه والمؤرخ: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، نشره وصححه وراجع أصله: عزت العطار، تقديم: الشيخ محمد بن زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة، ١٩٣٩م.

٢١) محمود إسماعيل، دكتور: إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، عامر للطباعة والنشر، المنصورة، ١٩٩٦م.

٢٢) محمود إسماعيل: نهاية أسطورة، نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفا، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢٣) دكتور: محمود إسماعيل: الماركسية لم تأت لهدم ثوابت الدين، ٦ أغسطس ٢٠١٦م. https://www.ahram-canada.com/106991

٢٤) محي الدين ابن عربي، الصوفي: رسائل ابن عربي، القطب والنقباء وعقلة المستوفز، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٥) ناسا بالعربي: الإنتروبيا وقوانين الديناميكا الحرارية https://nasainarabic.net/education/articles/view/entropy-and-laws-thermody

٢٦) النعمان بن حيُّون التميمي المغربي، القاضي: الرسالة المذهبة، في: خمس رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، دار الأنصاف، سلمية، سوريا، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

ثانياً: الأجنبية:

1) Albert Pike: Morals And Dogma of The Ancient And Accepted Scottish Rite of Freemasonry, Prepared For The Supreme Council Of The Thirty Three Degree For The Southern Jurisdiction Of The United States And Published By Its Authority, Charleston، 1871 .

2) Alfred Wehrl: General Properties Of Entropy, Reviews Of Modern Physics, Vol. 50 ،No. 2, April 1978, P221-260.

3) Arthur Edward Waite: The Holy Kabbalah, A Study Of The Secret Tradition In Israel, Williams And Norgate, London، 1929.

4) Augastine Barruel: Memoirs Illustrating The History Of Jacobinis, Part III، Translated Into English By The Hon. Robert

Clifford, Printed For The Translator By T. Burton No. 11 Gate Street, Lincolin's Inn Fields, London، 1798.

5) Bernard Lewis: The Origins Of Isma'ilism A Study A Study Of The Historical Background Of The Fatimid Caliphate, Cambridge, W. Heffer & Sons Ltd, 1940.

6) Fama Fraternitatis Or A Discovery of The Fraternity of The Most Laudable Order of The Rosy Cross, Translated And Prefaced By: Eugenius Philalethes Printed by F. M. For Giles Calvert, London، 1653.

7) François Begue Clavel: Histoire Pittoresque De La Franc-Maconnerie ET Des Sociétés Secrètes, P260, Pagnerre, Paris, 1844.

8) Ilya Prigogine: Order Out Of Chaos: Man's New Dialogue With Nature، Bantam Books, New York, 1984.

9) John Robinson: Proofs Of Conspiracy Against All The Religions And Governments Of Europe Carried On The Secret Meetings Of Freemasons, Illuminati And Reading Societies, 3rd Edition, Printed For T. Dobson, No.41, South Second Street, And W. Cobbet, No.25, North Second Street, Philadelphia, 1798.

10) Joseph Von Hammer Purgstall: The History Of The Assassins, Derived From Oriental Sources, Translated From The German By Oswald Charles Wood, Smith And Elder, Cornhill, London, 1835.

11) Macgregor Mathers: The Kabbalaha Unveiled, Translated Into English From The Latin Version Of Knorr Von Rosenroth And Collated With The Original Chalde And Hebrew Text, George Redway Publishing, London, 1887.

12) Manly Hall: The Secret Teachings Of All Ages, Printed For Manly Hall By H.S. Crocker Company, Incorporated, San Francisco, 1928.

13) Nesta Webster: Secret Societies And Subversive Movements, Second Edition, Boswell Printing & Publishing Co.، Ltd, Whitefriars Street, London, 1924.

14) Oskar Kristeller: The Philosophpy of Marsilio Ficino, Columbia University Press, 1943.

15) The Sepher Ha-Zohar, Or The Book Of Light, Nurho De Manhar, Theosophical Publishing Company, New York, 1900.

فهرس الصور

الفهرس

دكتور بهاء الأمير

- **المؤلفات المطبوعة:**

١	كوسوفا، المذابح والسياسة، دار النشر للجامعات.
٢	النور المبين، رسالة في بيان إعجاز القرءان الكريم ، مكتبة وهبة.
٣	المسجد الأقصى القرءاني، دار الحرم للتراث.
٤	الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون في القرءان، مكتبة مدبولي.
٥	اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، مكتبة مدبولي.
٦	اليهود والماسون في الثورات والدساتير، مكتبة مدبولي.
٧	اليهود والماسون في ثورات العرب، مكتبة مدبولي.
٨	شفرة سورة الإسراء، بنو إسرائيل والحركات السرية في القرءان، مكتبة مدبولي.
٩	بروتوكولات حكماء صهيون، تقديم ودراسة، مكتبة مدبولي.
١٠	الانفجار الكبير، ماذا غير القرءان في العالم وماذا أحضر للإنسانية، مكتبة وهبة.
١١	الرقيق في الإسلام وتجارة العبيد في الغرب، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٢	درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والرموز، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٣	الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون في القرءان، طبعة جديدة، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٤	شفرة سورة الإسراء، طبعة جديدة، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٥	اليهود والحركات السرية في عصر النهضة، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٦	اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، وشركة الهند الشرقية البريطانية، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٥	تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب والأصول القبالية لتفسير الحروف المقطعة بالسريانية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٦	النازية واليهود والحركات السرية، مطبوع على نفقة المؤلف.

١٧	التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٨	ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢٠	أول الآتين من الخلف، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢١	بذور المشروع اليهودي في الشام، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢٢	اليهود والماسونية في المغرب، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢٣	الأمازيغ والفتوحات الإسلامية، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢٥	الكعبة وزحل، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢٦	النمر في فلسطين، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢٧	التطور البيولوجي والحركات السرية في الشرق، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢٨	ثاني الآتين من الخلف، تحت الطبع.

- **دراسات ومقالات منشورة على الإنترنت**[•]:

١	يهود الدونمة.
٢	اليهود والماسون في قضية الأرمن.
٣	حركة الجزويت اليسوعية.
٤	عن الإخوان والماسونية.
٥	معركة المادة الثانية من الدستور.
٦	قواعد في إدارة الصراعات والتعامل مع الأزمات.
٧	عن الفتنة والديمقراطية والحركات الإسلامية.
٨	نقد كتاب اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد.
٩	نقد استخدام حساب الجُمَّل والأعداد في الاستنباط من القرءان.
١٠	حقيقة ما يحدث في مصر.
١١	فرعون بين التوراة والقرءان.

(•) روابط الكتب والدراسات في مدونة صناعة الوعي، ومدونة عالم الوحي على الإنترنت.

١٢	المسألة الإخناتونية.
١٣	معركتنا مع اليهود نموذج قديم وأحداث جديدة.
١٤	الفريضة الغائبة عما يحدث في مصر، العلماء والميزان.
١٥	الشميطاه واليوبيل.
١٦	القبالاه والموسيقى.
١٧	نقد نظرية الأكوان المتوازية.
١٨	البِتكوين، العملة المشفرة.
١٩	حوار مع قادياني.
٢٠	قضية تحرير المرأة.
٢١	أصول دراسة إسلام بحيري عن سِن السيدة عائشة عند زواج النبي بها.
٢٢	رد على نقد بخصوص كتاب شفرة سورة الإسراء: ١ ،٢ ، ٣.
٢٣	اليهود الأخفياء.
٢٤	رسم المصحف وكلمات القرآن.
٢٥	اليهود والاشتراكية.
٢٦	المملكة وأردوغان.
٢٧	حفظة الأكلشيهات.
٢٨	اليهودي كرستوفر كولمبس ومشروع المارانو.
٢٩	يهود الخزر.
٣٠	الأزمة في الجزائر وأزمة الشرعية في الدول العربية.
٣١	أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
٣٢	الأرض المسطحة.
٣٣	آل عثمان حماة مياه الإسلام.
٣٤	الإسلام والحركات الإسلامية والثورات

٣٥	حوار مع كائن فضائي.
٣٦	الخلافة والمُلك والدولة العثمانية وبلاليص ستان.
٣٧	جوته والإسلام والماسونية.
٣٨	نقد كتاب السامري الساحر المصري الذي أسس الماسونية.
٣٩	السلطان عبد الحميد وعبد الرحمن الكواكبي.
٤٠	القبالاه روح عصر النهضة والتنوير.
٤١	العراقيل أمام دراسة المسألة اليهودية في بلاليص ستان.
٤٢	حكماء صهيون وبروتوكولاتهم.
٤٣	اليهود والسُلطة وحكم العالم.
٤٤	الفرق بين المماليك والآتين من الخلف.
٤٥	السلطان عبد الحميد وتيودور هرتزل.
٤٦	بريطانيا واليهود.
٤٧	نابليون الماسوني واليهود.
٤٨	مستوطنة في جزيرة العرب ومستوطنة في سيناء.
٤٩	مقدمة وتعليقات على كتاب: المؤامرة الكونية، ليان فان هيلسنج، وترجمة: م/أحمد حمدي.
٥٠	درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والرموز.
٥١	الترك وقتالهم.
٥٢	القسطنطينية وآخر الزمان.
٥٣	أخطاء الإسلاميين في الثورة.
٥٤	حكم قتل الكافر الحربي.
٥٥	كورونا.
٥٦	اليهود في الصين.

٨٠	ثاني الآتين من الخلف (٢) في حرب فلسطين.
٨١	دعوى تعديل التقويم الهجري وربطه بالتقويم الشمسي.
٨٢	طوفان الأقصى.
٨٣	طوفان الأقصى (٢) ردود على انتقادات وتعليقات.

- **قصص قصيرة:**

١	جيفارا.
٢	مجاهد بن عبد الله الأزهري.
٣	علميها رمي الحجر.
٤	أبو خربان.

- **المرئيات(●):**

أولاً: مع الكاتب والمفكر الإسلامي جمال سلطان في برنامج حوارات بقناة المجد:

١	بروتوكولات حكماء صهيون، في مواجهة دكتور عبد الوهاب المسيري ودكتور أحمد ثابت.
٢	اليهود في الغرب، في مواجهة دكتور عمرو حمزاوي.

ثانياً: مع الشاعر المبدع والإعلامي اللامع أحمد هواس في برنامج قناديل وبرنامج كتاب الأسبوع بقناة الرافدين:

١	الوحي ونقيضه.
٢	المسجد الأقصى القرءاني.
٣	خفايا شفرة دافنشي.
٤	ملائكة وشياطين.
٥	دور الحركات السرية في إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية والرموز اليهودية

●) مرئيات دكتور بهاء الأمير موجودة على شبكة المعلومات الدولية، الإنترنت، في موقع يوتيوب وفي العديد من المواقع الأخرى.

	والماسونية في الدولار الأمريكي.
٦	القبالاه، التراث السري اليهودي ، وآثارها في العالم.
٧	التنجيم والأبراج، أصلها وحقيقتها.
٨	البلدربرج حكومة العالم الخفية.
٩	الرمز المفقود.
١٠	لماذا العراق؟ خفايا الغزو الأمريكي للعراق.
١١	نبوءة نهاية العالم، الأساطير والحقائق.
١٢	البابية والبهائية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.
١٣	القاديانية والنصيرية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.

<u>ثالثاً:</u> مع الإعلامي والداعية الإسلامي خالد عبد الله في برنامج مصر الجديدة بقناة الناس:

١	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الأول.
٢	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثاني.
٣	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثالث.
٤	الاحتفال الماسوني عند الهرم الأكبر، حقيقته والهدف منه.
٥	دكتور محمد البرادعي، مواقفه وأفكاره.

<u>رابعاً :</u> مع الإعلامي والشاعر والداعية الإسلامي دكتور محمود خليل في برنامج الدين والنهضة بقناة مصر ٢٥:

١	الفوضى في مصر، أسبابها ومن المستفيد منها.
٢	مصر بعد الثورة، الأخطار الداخلية والخارجية.
٣	رمضان شهر القرءان.
٤	الثورة والدولة.

<u>خامساً :</u> مع الإعلامي ياسر عبد الستار في قناة الخليجية:

١	الماسونية والثورات.

سادساً : في قناة الحدث:

١	من خلف الثورات.
٢	المشروع اليهودي وحروب الجيل الرابع.
٣	من هي إسرائيل؟
٤	يهودية إسرائيل.
٥	حقيقة الماسونية

سابعاً: في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٣م:

١	نقد كتاب: سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوي.

ثامناً: في عالم السر والخفاء، برنامج من إعداد وتقديم دكتور بهاء الأمير:

١	عالم السر والخفاء.
٢	جولة في عالم السر والخفاء.
٣	بيان الإله.
٤	الوحي.
٥	الطلاسم.
٦	في الملأ الأعلى.
٧	خريطة الوجود.
٨	الأمم المتحدة.
٩	حقوق الإنسان.
١٠	تحرير المرأة.
١١	اتفاقيات المرأة في الأمم المتحدة.
١٢	الهندوسية.
١٣	جمعية الحكمة الإلهية.
١٤	الحكيمة فوزية دريع.

١٥	حركة العهد الجديد والأمم المتحدة القبالية.
١٦	الماسونية وبناتها.
١٧	الوحي ونقيضه.
١٨	أخوية فيثاغورس
١٩	المخطوط العبري.
٢٠	قلب الماسونية.
٢١	وسائل الانفصال الاجتماعي.

تاسعاً: مقاطع وحوارات مصورة في المنزل:

١	بلاليص ستان: سبعة عشر مقطعاً.
٢	رد على نقد: أربعة مقاطع.
٣	الشورى والديمقراطية: أربعة مقاطع.
٤	أخطاء الإسلاميين: مقطعان.
٥	نبوءات: أربعة مقاطع.
٦	المادة الثانية من الدستور: خمسة مقاطع.
٧	التاريخ السري للغرب: ستة مقاطع.
٨	الوحي ونقيضه.
٩	العقائد والسياسة.
١٠	الناس من غير الدين بهائم.
١١	نفي الألوهية والخلق والوحي أصل الليبرالية والماركسية.
١٢	الأناركية.
١٣	حوار مع معالج بالطاقة.
١٤	علميها رمي الحجر.
١٥	اليهود في الماسونية ج١ الطقوس والرموز.

١٦	اليهود في الماسونية ج٢ درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر ومعانيها.
١٧	أبو خربان.
١٨	تطبيع وتدليس.
١٩	خلف ماكرون وشارلي إبدو.
٢٠	اليهود والماسونية في المغرب، ج١، اليهود في المغرب، العلم القبالي.
٢١	اليهود والماسونية في المغرب، ج٢، الصهيونية في المغرب، تطبيع من قديم.
٢٢	اليهود والماسونية في المغرب، ج٣، الماسونية في المغرب.
٢٣	الأمازيغ والفتوحات الإسلامية: سبعة مقاطع.
٢٤	ثاني الآتين من الخلف.
٢٥	مقدمة كتاب الرقيق في الإسلام وتجارة العبيد في الغرب.
٢٦	مقدمة كتاب درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والرموز.
٢٧	روسيا وأوكرانيا واليهود والحرب، مقطعان.
٢٨	كتاب الوحي ونقيضه، مقدمة الطبعة الجديدة.
٢٩	ثاني الآتين من الخلف (١) بين أحضان اليهود: ١- مولود في مستوطنة اليهود والفرنسيس، ٢- أمه وأبوه، ٣- خريج حارة اليهود، ٤- الطيور على أشكالها تقع.
٣٠	النمر في فلسطين: ١- بلاليص ستان في حرب، ٢- النمر في فلسطين، ٣- تحقيق واقعة استشهاد البطل أحمد عبد العزيز.
٣١	ثاني الآتين من الخلف (٢) في حرب فلسطين: ١- الحملة المصرية في فلسطين، ٢- نهاية الحرب وبداية الخلافة الإسرائيلية، ٣- بطل من هوليوود، ٤- مع ابن العم.
٣٢	مريم وعائشة
٣٣	نقصان عقلها كمال تكوينها.

٣٤	المرأة في القبالاه والحركات السرية.
٣٥	تدوين السنة وعلوم الحديث.
٣٦	دعوى تعديل التقويم الهجري وربطه بالتقويم الشمسي.
٣٧	التقويم الحبشي والتقويم الهجري مرة أخرى.
٣٨	صحيح البخاري.
٣٩	وما ينطق عن الهوى.
٤٠	ما الذي يترتب على إنكار السنة؟
٤١	الداروينية والتطور.
٤٢	التطور البيولوجي والحركات السرية في الشرق: ١-الحركات السرية بين الشرق والغرب، ٢-إخوان الصفا ماسونية الشرق، ٣-القبالاه والتطور البيولوجي في رسائل إخوان الصفا، ٤-التطور البيولوجي بين إخوان الصفا وابن خلدون.

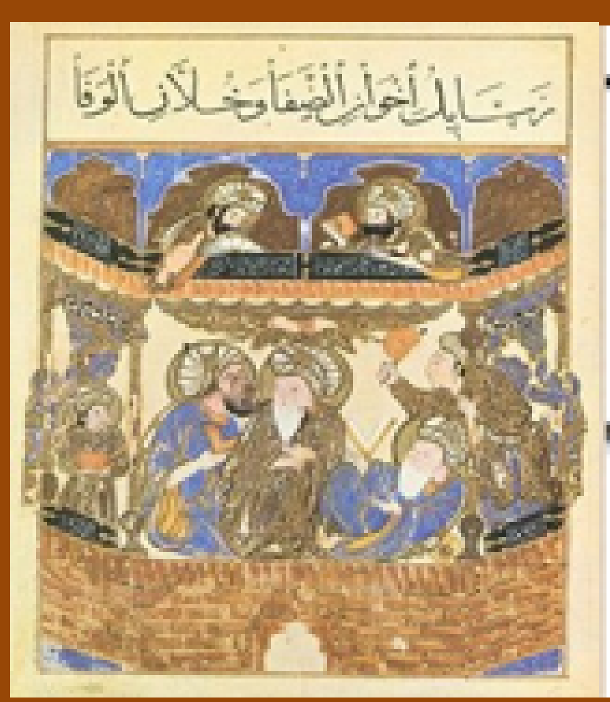
- **السمعيات:**

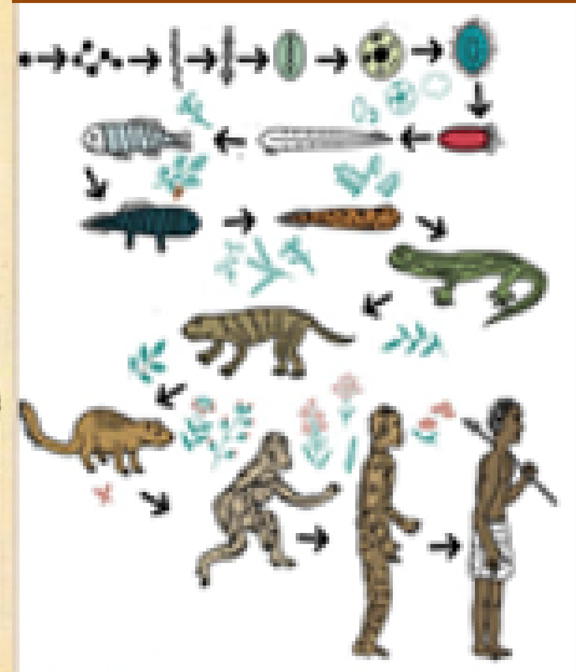
١	برنامج في مكتبة عالم بإذاعة القرءان الكريم، ثلاث حلقات.
٢	برنامج مقاصد الشريعة بإذاعة القرءان الكريم، أربع عشرة حلقة.

- **القرآن:**

١	جزء عم رواية حفص عن عاصم الكوفي.
٢	جزء عم رواية ورش عن نافع المدني.
٣	جزء عم رواية السوسي عن أبي عمرو البصري.

التطور البيولوجي والحركات السرية في الشرق





اقرأ في هذا الكتاب:

- القبالاه والحركات السرية بين الشرق والغرب.
- التطور البيولوجي نظرية عقائدية وليس نظرية علمية.
- عقيدة التطور في الشرق.
- إخوان الصفا وخلان الوفا ماسونية الشرق.
- قصة الخلق القبالية وعقيدة التطور البيولوجي في رسائل إخوان الصفا.
- التطور البيولوجي بين إخوان الصفا وابن خلدون.

دكتور بهاء الأمير